رفعت فودة

من مذكرات جنرال داڤيد اليعازار

١٢٢

دار المعارف

من مذكرات جنرال

دافيد اليعازار

١٦٦



رفعت فودة

من مذكرات جنرال

دافيد اليعازار

١٢٢



دار المعارف

إهـداء

إلى القائد الذى اتخذ القرار ..

إلى كل محارب فى مصر ..

إلى كل مكابر فى إسرائيل ..

رفعت فودة

יס מילואים, ולא להזעיק את האמריקני

* ~~אמנם~~ 1972 היתה שנה ~~[illegible]~~ של קפאון מדיני
תפיסה של לא שלום ולא מלחמה וגם תפיסה של רבו
הויכוחים של מנהיגי ערב שאמרו אין דרך אחרת מלבד המאבק
המזוין.

בסוף 72 יש מגמה מלחמה בדעות הקהל
ובמיוחד [illegible] [illegible] [illegible] מסקנה שהמלחמה צפויה
בתוצאה קרובה.

[illegible] הראה המלחמה נשא הקשר רבות ושונים
תכנונים מבצעיים

וההכנה המרכזית אלה מלחמה את יום הכיפורים באוקטובר
היתה הפתעה.

(תצלום מרשימות שהשאיר אחריו דוד אלעזר ז"ל)

* مخطوط بقلم جنرال دافيد اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى خلال حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . يقدم به مذكراته عن حرب أكتوبر وما بعدها . . من الهزيمة إلى الاستقالة . .



الجنرال دافيد اليعازار

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم العقيد (أ. ح) محمد فريد حجاج

لعلى لا أتجاوز الحقيقة كثيراً . . إذا قلت إن أغلب الكتب التى صدرت عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . كانت عن الجانب الإسرائيلى ، وقليل من هذه الكتب صدر عن الجانب العربى ، ولكن للأسف . . لم يكن معظمها على مستوى عظمة حرب أكتوبر . . فقد غابت عنها النظرة المتعمقة ، والدراسة التحليلية . . لما دار على طول الجبهات من معارك . . غيرت مفاهيم كثيرة لدى واضعى العلوم والاستراتيجيات العسكرية فى العالم ، ولهذا لم يتضح لنا ، ولم نستطع نحن أن نوضح للعالم . . مقدار الهزيمة التى لحقت بإسرائيل فى هذه الحرب . . فضلا عن خسائرها فى الأفراد والمعدات .

ومن الطبيعى أن تعقب الهزيمة فى المعارك العسكرية هناك . . معارك من نوع آخر ، وأقصد هنا المعارك التى تحدث بين بعض القادة وبعض بعد الهزيمة . . فى محاولة كل قائد منهم إلصاق مسئولية الهزيمة بالآخر

وتبرئة نفسه منها ، وهذا بالضبط ما حدث فى إسرائيل . . حيث بدأ بعد حرب أكتوبر مباشرة ما اصطلح الخبراء العسكريون على تسميته بصراع الجنرالات .

وكان من الطبيعى أيضاً أن تتجه أصابع الاتهام لا إلى دافيد اليعازار وحده . . بل إلى كل القادة فى المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، وعلى رأسها موشى ديان . . الذى كان وزيراً للدفاع فى ذلك الوقت ووزيراً للخارجية حاليًّا . . ولكن ديان بأسلوبه الماكر ، وبمكره المخادع استطاع أن يحول عن نفسه أصابع الاتهام لتتجه إلى رئيس أركانه دافيد العازار . . الأمر الذى أجبر الأخير على كتابة هذه المذكرات متحرياً فيها الصدق فى الوقائع ، والأحداث ، والشخصيات لكى تتضح الحقيقة للتاريخ ،(ولذلك كانت هذه المذكرات من أصدق ماكتبه الجانب الإسرائيلى عن حرب أكتوبر . . مما جعل قول الله تعالى : (وشهد شاهد من أهلها) ينطبق عليها تماماً)

وأظننى لست بحاجة الآن إلى الإشارة لما كانت عليه إسرائيل فى أعقاب حرب يونية ١٩٦٧ ، أو ما يطلقون عليه هم « حرب الأيام الستة » خصوصاً بعد أن غشيت أبصارهم نشوة الانتصار السريع . . الذى حققوه فى هذه الحرب . . لدرجة أنهم اعتقدوا . . أنهم بهذا التوسع غير المشروع . . قد حققوا لأنفسهم حلمهم الوهمى بإقامة إسرائيل الكبرى الآمنة . . ولذلك أقاموا حساباتهم على أن العرب

جميعاً . . جثة هامدة وأن ما حدث عام ١٩٦٧ هو القاعدة ، وأن الفارق الحضارى بينهم ، وبين العرب لن يتلاشى ، وأن على العرب – الجثة الهامدة – أن يعوا هذا الدرس جيداً . وأن الحقيقة الوحيدة فى الشرق الأوسط هى قوة إسرائيل العسكرية !

ولكى تؤكد إسرائيل كل هذه الحقائق ، ولكى تمنع العرب من التجرؤ والإقدام على أى عمل عسكرى من جانبهم لتحرير أراضيهم . . عملت إسرائيل على إعلاء حاجز الخوف بينها وبين العرب ، ولذلك استمرت تعربد فى المنطقة فلا تسمع إلا صوت آلاتها العسكرية الصماء ، وسدت أذنيها عن أى حقيقة أخرى . . كما استمرت فى تنفيذ مخططها التوسعى من خلال الآتى :

أولاً : جلب أعداد كثيرة من اليهود المهاجرين . . لتنفيذ خطتها الاستعمارية .

ثانياً : العمل على زيادة الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى المحتلة من خلال بناء المستوطنات طبقاً لخطة عسكرية .

ثالثاً : العمل على تقوية اقتصاد الحرب فى إسرائيل معتمدة على ما تأخذه من دعم مالى ، ومساعدات أمريكية ، وكذلك على الدعم العسكرى المضمون لها فى وقت الخطر .

ولما كانت إسرائيل تؤمن بأن تحقيق أمنها لن يكون إلا عن طريق انتصاراتها العسكرية ، ولما كان الهدف القومى الصهيونى التأكد من

حماية وجود إسرائيل ، وضمان بقائها ، وتدعيم مستقبلها ، وتأمين استمرار نموها . . خرجت بنظرية الحدود الآمنة .

وفى الفصول الأولى لهذه المذكرات يتحدث دافيد العازار عن الكيفية التى طبقت بها إسرائيل هذه النظرية ، وكيف اعتقدوا هناك أن الحدود التى انتهت إليها قواتهم فى حرب ١٩٦٧ هى الحدود الآمنة ، وبالتالى النهائية لهم وأن الحدود التى وصلت إليها إسرائيل فى حرب ١٩٤٨ لم تكن إلا جزءاً صغيراً من إسرائيل الكبرى ، وبما أن إسرائيل بحدودها فى عام ١٩٤٨ كانت تفتقر إلى العمق الاستراتيجى فإن حدودها الجديدة فى عام ١٩٦٧ ستمنع قيام حرب أخرى جديدة على أرض إسرائيل ، ولهذا بدأت فى التحصين القوى المستمر لهذه الحدود . . التى أطلقت عليها صفة الحدود الآمنة . . معتمدة على أن قناة السويس . . من أكبر الموانع المائية فى العالم . . بالإضافة إلى خط بارليف . . الذى أقامته على أحدث أنواع الفن العسكرى الحديث . . بعد أن زودته بأرقى وأحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا كما توضح هذه المذكرات خصوصاً شعارات الفخر ، والاعتزاز . . التى جاءت على لسان حاييم بارليف . . الذى أطلقوا اسمه على هذا الخط .

كما أن إسرائيل جهَّزت مسرح العمليات على طول الجبهة المصرية لإمكانية القيام بالهجمات المضادة السريعة على جميع المستويات . بالإضافة إلى ضمان استمرارية المساعدة من القوات الجوية التى أطلقت

إسرائيل عليها ! اسم الذراع الطويلة . . هذا بالنسبة للجبهة المصرية . . أما فيما يتعلق بالجبهة السورية . . فقد حصّنت إسرائيل الخط الذى كانت تقف عليه فى هضبة الجولان – والذى أسمته بالخط البنفسجى – بالموانع المختلفة والنقاط الحصينة .

ومن خلال هذه المذكرات تتضح لنا الصورة عن الطريقة التى كان يفكر بها قادة المؤسسة العسكرية فى إسرائيل . . بعد أن نفذوا خطة الحدود الآمنة . . فالصورة توضح لنا أن الغرور والخيلاء قد وصل بهم إلى درجة التصريح بأنه إذا كانت مصر تريد الخروج من الأزمة ، وفتح قناة السويس . (فلا مانع لديهم على شرط أن يقتسموا مع مصر دخل القناة . . لأنهم كما زعموا يملكون نصف قناة السويس)

وهنا أود أن أتطرق إلى ما قاله قادة ! إسرائيل عن نوعية الجندى المصرى ، وكيف أنه من نوعية غير صالحة للقتال ، وعن الضابط المصرى الذى لا يستطيع أن يقود كتيبة من الفئران الضالة ، وعن مخابراتهم التى وصفوها بأنها أعظم مخابرات فى العالم ، وتستطيع أن تحصل على جميع المعلومات من أى مكان ، ومن أى مصدر فى العالم ، وكذلك ما صرح به ديان وزير دفاعهم فى ذلك الوقت . (حين قال إن العرب أمامهم خمسون عاماً . . حتى يمكنهم الوقوف مرة ثانية ، وأنهم جثة هامدة ، أو عليهم تقبل الوضع القائم وأنه لا عودة إلى حدود ما قبل حرب يونية ١٩٦٧ .)

أما مصر فى هذه الأيام فكانت تخطط فى صمت وسرية لحرب أكتوبر فى الوقت الذى كانت تعتقد فيه إسرائيل أن هدفها فى تحقيق إسرائيل الكبرى قد أصبح قاب قوسين أو أدنى ، وهنا تحدثنا المذكرات عن قيام حرب أكتوبر وكيف تداعت نظرية الحدود الآمنة الإسرائيلية ، وظهر مدى تزييف إسرائيل للحقائق عن الفجوة التكنولوجية بينها وبين العرب ، وتداعت جميع الأباطيل عن عدم مقدرة الجندى المصرى فى القتال ، واستخدام الأسلحة الحديثة بمهارة ودقة .

قامت حرب أكتوبر ، وسقط خط بارليف الشهير . . الذى قال عنه الإسرائيليون إنه إذا حاول المصريون عبور قناة السويس . . فسيكون مقبرة لهم . . تداعي هذا الخط فى خلال ست ساعات ، وفى أثناء تداعيه توضح لنا هذه المذكرات كيف انهار ديان ، وحاييم بارليف ، وباقى القادة وبانهيار خط بارليف سقطت آلهة الحرب . . . الذين عبدهم الإسرائيليون بعد حرب غير عادية فى عام ١٩٦٧ .

ويلاحظ القارئ لهذه المذكرات الآثار الهائلة . . التى أحدثتها هذه الحرب فى حياة المجتمع الإسرائيلى بأكمله ، ولعل من أدمغ الشواهد على ذلك كلام دافيد اليعازار . . لأنه من حيث موقعه العسكرى خير شاهد على ما حدث بإسرائيل نتيجة حرب أكتوبر ، ونتيجة عظمة الأداء المصرى خلالها ، وهذا ما توضحه لنا مذكراته . . التى كتبها بخط يده .

كما أننا فى الجزء الأول من هذه المذكرات نرى كيف أمكن تنفيذ

خطة الخداع المصرية . . بكل دقة وإحكام ، وأن أعظم مخابرات العالم كما ادعوا لم تتمكن من معرفة ، أو حتى تحديد ميعاد الهجوم .

ولو عرفنا أن هذه الخطة طبقت فى الوقت الذى لا يوجد فيه بين القوات المتحاربة . . إلا عرض القناة الذى يقدر بـ ٢٠٠ متر . . هذا بالإضافة إلى التقدم الكبير فى وسائل التصنت ، والأقمار الصناعية ووسائل الحرب الإلكترونية . . لأدركنا كيف كانت الكفاءة فى وضع وتنفيذ خطة الخداع المصرية .

وبعد ذلك يتحدث دافيد اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى عن اقتحام المصريين لقناة السويس ، وعزل ميدان المعركة بواسطة قوات الإبرار المصرية . . التى قال عنها دافيد اليعازار إنها قاتلت بشراسة وبشجاعة منقطعة النظير . . ثم يسهب العازار بعد ذلك عن استيلاء المصريين على خط بارليف ، وسقوط هذا الخط قبل حلول ليل السادس من أكتوبر . كما أنه يتحدث عن الضربة الجوية التى فاجأ بها الطيران المصرى العدو ، والتى أحدثت الشلل التام لقياداته . . أما شجاعة الجندى المصرى . . فقد أوضح العازار فى أكثر من فقرة من مذكراته أن الجنود المصريين حاربوا بشجاعة واقتدار وشراسة على طول الجبهة وأنهم تمكنوا من إحباط الهجوم المضاد الإسرائيلى .

ومن سياق هذه المذكرات يمكن أن نستنبط مقدار الخسائر من القتلى والجرحى . . التى أصابت الجيش الإسرائيلى . . الذى قالوا عنه

إنه لا يهزم . . كذلك ينبغى أن نلاحظ كيف استطاعت قوات الدفاع الجوى المصرية قطع ذراعهم الطويلة – قواتهم الجوية – ومن الواضح أيضاً من خلال نظرة سريعة لهذه المذكرات أن نعرف مدى الارتباك والانهيار . . الذى أصاب القيادة الإسرائيلية فى الأيام الأولى لحرب أكتوبر ، وكذلك قيام صراع الجنرالات .

وهناك نقطة أخرى هامة توضحها وتؤكدها هذه المذكرات هى المعونة والدعم العسكرى . . الذى قدمته أمريكا لإسرائيل فى أثناء هذه الحرب ، ولعل هذا واضح جدًّا فى أقوال رئيس الأركان الإسرائيلى . . لقد مدت الولايات المتحدة الأمريكية ! إسرائيل بجميع احتياجاتها من المعدات ، والسلاح الحديث بكميات تفوق سجل مطالبهم ، وأن الشىء الوحيد . . الذى لم تقدمه الولايات المتحدة هو المقاتل الأمريكى ، وهذا يؤكد حقيقة ستظل فخراً للعسكرية المصرية وهى أنه فى الأيام الأخيرة من حرب أكتوبر كنا فى مواجهة فعلية مع الولايات المتحدة ، ويمكن تلخيص نتائج حرب أكتوبر من خلال هذه المذكرات فى النقاط الآتية :

١ – ثبوت زيف النظرية الإسرائيلية الخاصة بالحدود الآمنة إلى الأبد .

٢ – أن الجندى المصرى يستطيع الأداء بأروع ما يمكن .

٣ – أن الفجوة التكنولوجية بين الجندى الإسرائيلى والجندى العربى

لم تكن سوى أحلام فى عقول قادة إسرائيل .

٤ — وأن الجيش الإسرائيلى ليس بالجيش الذى لا يقهر . . بل يمكن أن يصاب بالهزيمة ، ويمكن قتل أفراده ، وإصابتهم . . بالإضافة إلى أسرهم .

٥ — أثبتت المعارك فى حرب أكتوبر أن الخوف والذعر من الممكن أن يصيب أفراد الجيش الإسرائيلى ، وثبت أنهم تركوا معداتهم وأسلحتهم وهربوا .

٦ — أثبتت هذه الحرب أن مضيق شرم الشيخ . . ليست له من الأهمية . . كما كانوا يزعمون .

٧ — كما أن ذراعهم الطويل — قواتهم الجوية — ثبت أنها ليست بمنأى عن التدمير والقطع بل البتر ، ولعل إسرائيل بعد كل هذا تعى هذا الدرس جيداً ، وتستوعبه ، وتعود إلى حجمها الطبيعى .

ولكل هذه الأسباب مجتمعة . . كان نقل هذا الكتاب من العبرية إلى العربية من الأعمال الهامة لكى نتمكن من معرفة فكر الجانب الآخر ، ونقدر بالضبط ما حدث له . . لأن أهمية هذا يرجع إلى أن كاتبه هو الجنرال دافيد اليعازار رئيس أركان الجيش الإسرائيلى ، وأحد أفراد المؤسسة العسكرية الحاكمة فى إسرائيل ولكنهم اختاروه بالذات ليكون كبش الفداء ، ويضحوا به بعد حرب أكتوبر . .

مذكرات جنرال دافيد اليعازار . .
المقدمة التى كتبها
دافيد اليعازار لمذكراته بخط يده

كنت واقفاً أمام الطائرة الهليكوبتر . . على وشك أن أستقلها فى جولة استطلاعية فوق مرتفعات الجولان . فهناك كانت تدور معارك استفزازية مع السوريين وكان الهدف من زيارتى لهذه الجبهة . . أن أتفحص خطوطنا الأمامية هناك : وكان من المفروض أن يرافقنى فى جولتى هذه رؤساء تحرير الصحف اليومية . . الذين اجتمعوا بالفعل أمام سلم الهيلكوبتر . وفى هذه اللحظة اقترب منى الكولونيل – العقيد – أفنير شلو مدير مكتبى وهمس إلىّ : بأن جولدا مائير تطلبنى فوراً فى القدس .

سألت أفنير إذا كان يعرف السبب . . الذى من أجله جاء هذا الاستدعاء العاجل من رئيسة الحكومة . إلا أنه أجابنى بأن العميد « يسرائيل ليئور » سكرتير رئيسة الحكومة العسكرى . . لم ينقل إليه إلا طلبها فقط . . ولكن لا أعرف السبب الذى من أجله تبادر إلى ذهنى على الفور فكرة أن جولدا تريد أن تحدثنى بشأن تقرير لجنة أجرانات :

ذلك التقرير الذى تسلمته هى منذ يوم واحد فقط ، أى فى ١ أبريل ١٩٧٤ . وبعد أن تبادرت إلى ذهنى تلك الخاطرة . . نظرت إلى أفنير مدير مكتبى فبدا وجهه وكأنه على وشك البكاء . وهنا فهمت أنه كان يعلم أكثر مما قاله لى ، وحينذاك قلت لضيوفى الصحفيين .

– بما أن رئيسة الوزراء . . قد استدعتنى على وجه السرعة . فلذا لن أستطيع أن أنضم إليهم . . ثم اتجهت إلى أفنير وقلت له :

– هذه المرة أود أن أذهب إلى القدس بالسيارة . . لا بالهليكوبتر كما كانت العادة . .

أما أفنير نفسه . . فقد طلب منى إذناً بألا يرافقنى . . واعتذر بوجود بعض الأمور الهامة والعاجلة عليه أن يرتبها فى تل أبيب .

وكانت هذه علامة أخرى . . تؤكد الأفكار . . التى بدأت تدور فى رأسى ، فقائد مكتبى كان يرافقنى دائما . . فى جميع جولاتى وحتى فى مباحثاتى كان يرافقنى ولم يكن يهتم فقط . . بالمعانى المجردة لكلماتى . . بل كان يترجمها على الفور إلى أوامر . .

هذه المرة . . لماذا يعتقد أفنير أننى أود أن أجلس فى السيارة وحدى ؟ هل يريد منى أن أرتب أفكارى . . التى سأواجه بها رئيسة الحكومة . . ؟ إننى لن أكون بمفردى تماماً . . فسوف يكون معى « نعيم كوهين » سائقى وصديقى المخلص على مدى سبعة عشر عاما . . منذ ذلك اليوم الذى أصبحت فيه قائداً لفرقة المدرعات النظامية من جيش الدفاع

الإسرائيلى . . منذ ذلك اليوم إلى الآن . بل إلى تلك اللحظة . . التى راودتنى فيها فكرة أن هذا هو يومى الأخير فى رئاسة الأركان العامة .

لقد مر الآن . . ما يزيد على أربعة شهور . . منذ أن شكلت الحكومة لجنة للتحقيق فى نتائج حرب يوم الغفران وقد بدأت هذه اللجنة عملها بالفعل . بعد شهر من وقف إطلاق النار وقبل سبعة أسابيع من توقيع اتفاقية الفصل بين القوات مع المصريين فى الكيلو متر ١٠١

وفى خلال تلك الأشهر الأربعة . . لم يكن جيش الدفاع . . قد انتهى من المعارك بعد . . فمازالت له معارك محدودة مع السوريين فى الجبهة الشمالية . أيضا كانت هناك الاستعدادات . . لنشوب حرب شاملة أخرى . أيضا كان جيشنا مشغولا فى إعادة ترميم ، وبناء قواته . بعد تلك العشرين يوماً القاسية والمخيفة والصعبة فى تاريخ حروب إسرائيل .

أيضاً كانت القيادات العامة ، والفرعية تائهة داخل سراديب طويلة من التحقيقات والمناقشات والتقارير حول المعارك العنيفة . . التى خاضتها فى حرب يوم الغفران ، وحين يتطرق بى الحديث إلى حرب يوم الغفران فإن معنى ذلك أننى أتحدث عن أعنف وأقسى معارك شهدها جيشنا طُوال حياته القصيرة . أقول كانت هناك مناقشات وتقارير حول الحرب والهزيمة والدروس المستفادة ، كل هذا كان يحدث بعد انتهاء المعارك فوراً وفى هذه الفترة – أى فترة ما بعد الحرب مباشرة – كانت جولدا مائير . . قد ذهبت إلى واشنطن وقبل عودتها من واشنطن

بيوم واحد دخلت أنا فى مناقشة طويلة مع بعض زملائى من القادة الكبار فى الجيش . . عبرت فيها عن رأيى فى الاقتراح المقدم إلى الحكومة بتشكيل لجنة للتحقيق فى نتائج هذه الحرب ولم أكتف بذلك . . . بل بعد أن عادت رئيسة الحكومة . . عبرت لها عن هذه الأفكار . . التى تدور فى رأسى . . حول تشكيل هذه اللجنة وكان مما قلته لها :

« دعونا أولاً نحقق مع أنفسنا من الداخل ! ثم دعونا بعد ذلك نضع النتائج ! بهذه الطريقة . . سوف تتوصلون إلى الأسباب الحقيقية للهزيمة التى تعرضنا لها فى هذه الحرب . . أما أن تشكلوا لجنة لتحقيق مع جيش بأكمله . . مازال يحارب ، أو بمعنى آخر . . مازالت حروبه لم تنته ومازال هو لم يفق من الصدمة العنيفة التى واجهها ولم يتعرف بعد . . على ملامحه من الداخل ولا على خسائره ولم يعرف بعد ما توصل إليه من نتائج ، وقلت لها إننى أعتقد أنه يجب علينا أن نوضح لأجهزة الإعلام . . أن عليهم أن ينتظروا وألا يضغطوا على الحكومة . . لكى تشكل لجنة تحقيق ، وألا يطالبوا برءوس قادة الجيش الآن . . وألا يطلبوا استقالات ! ، وألا يبحثوا عن عاهات وعلل وعيوب القادة . . لأنهم أيًّا كانوا . . فهم قادة جيش إسرائيل ، فأنتم إن فعلتم ذلك . . فإن معناه ببساطة . . أنكم تدمرون هذا الجيش وليس لديكم بديل أفضل منه ، والدولة . . دولتكم أنتم فى حاجة ماسة إليه الآن . .

إنكم إن فعلتم ذلك فسيكون هو الخطأ وهو التقصير وإذا كان التحقيق ضروريًّا . . فليكن تحقيقاً داخليًّا ، تحقيقاً يوصل إلى نتائج ، ولا يدمر ، وبعد ستة أشهر ، أو ثلاثة أشهر . . عندما نكون بالفعل قد توصلنا إلى وقف إطلاق النار وأصبحت دولتنا وجيشها بعيدين عن الخطر تماماً . . من الممكن فى ذلك الوقت وفى ذلك الوقت فقط . . أن تشكل لجان أو أن نبدل قادة الجيش » .

إلا أن ما حدث هو أن اقتراحى لم يقبل ، وشكلت لجنة التحقيق وأنا نفسى استدعيت للمثول أمامها خمس مرات فى الفترة ما بين ٢٩ يناير إلى ١٨ مارس ، وكان مجموع الزمن الذى أدليت فيه بشهادتى أمام هذه اللجنة . ثمانى عشرة ساعة ونصف ساعة ، ومن خلال المناقشات الطويلة والحادة التى جرت على مدى هذه الثمانى عشرة ساعة والنصف ومن خلال كل ذلك . . توصلت إلى نتيجة أوحتها لى مشاعرى الخاصة ، وكانت هذه النتيجة مؤداها : أننى سأواجه مشاكل معقدة وصعبة . . أنا وزملائى قادة الأركان العامة فى الجيش من وجهة النظر العسكرية وأنا وزعماء إسرائيل من الناحية السياسية .

فقط فى هذا الصباح من ذلك اليوم . . لماذا انتابنى هذا الشعور ؟

لماذا أصابتنى قشعريرة من الاستدعاء العاجل لرئيسة الوزراء ؟

وهذا التفكير الذى بدأ يدور فى رأسى والسيارة تقطع الطريق للقدس . . كل هذه الأمور أعادت ذهنى بعيداً إلى الوراء . . إلى

ذكريات الحرب الأولى فى عام ١٩٤٨ والتى خضتها هنا منذ ٢٦ عاماً . فاليوم هو اليوم الثانى من أبريل ، وتذكرت أننى فى هذه الأيام على وجه التحديد منذ ٢٦ عاما قطعت هذه الرحلة على ذات الطريق إلى القدس . . مع الكتيبة الرابعة التابعة للبالماخ . . الجناح المتطرف من اتسل – منظمة الجيش الوطنى الصهيونى – وكانوا يلقبوننى أنا وزملائى باسم – الفاتحون – وكانت هذه المعارك قد بدأت منذ أول أبريل ، وظللنا أياماً عصيبة وطويلة من ذلك الشهر نحارب من أجل القدس – من أجل أن يمتد الاستيطان اليهودى من ساحل البحر إليها سبعين يوماً ، وسبعين ليلة . . خضت هذه المعارك كقائد سرية فى هذه الكتيبة ، وما إن مرت شهور معدودة . . حتى أصبحت قائد كتيبة « الفاتحين » ولم يتطرق إلى ذهنى فى ذلك الوقت أنه بعد مرور ٢٦ عاماً . . سيكون قدرى أن أظل محارباً . وحتى فى أحلام يقظتى . لم أحلم بأننى سوف أتولى قيادة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلى . . أثناء فترة حدثت فيها حرب دامية وقاسية ، ومروعة كحرب الغفران هذه . . حرب يتقاتل فيها مئات الألوف وهم مزودون بكميات هائلة من الأسلحة الحديثة والمتطورة .

أثناء هذه الحرب – أقصد حرب يوم الغفران ، وعلى وجه الخصوص فى أيامها الأولى – تذكرت معارك السبعين يوماً . . على مشارف القدس وتذكرت الكلمات الحماسية . . التى كنت أرددها على

مسامع الجنود . . فى لحظات اليأس لكى ألهب فيهم الحماس للقتال من جديد وكنت أقول :

«حتى ولو نزل علينا المطر . . فسوف نجعل العدو هو الذى يبتل»

ولكننى أنا الآن فى لحظة يأس . . فمن يردد لى كلمات حماسية . . حتى أستطيع مواجهة هذا الموقف الصعب؟ من يا إلهى ؟

دخلت مكتب رئيسة الحكومة . . الواقع فى ضاحية (جفعات رام) بالقدس ، وكان أمامها على المكتب يرقد التقرير . . تقرير لجنة أجرانات . . وهنا ومن الوهلة الأولى . . أدركت على الفور . . أن مائير تشعر بصعوبة بالغة . . فى مواجهتى بمثل هذا التقرير ، ولذا بادرتها أنا بالقول :

— هذا أمر سيئ

فردت علىّ بإماءة من رأسها وأضافت قائلة :

— خذه ، واقرأه !

ألقيت عليه نظرة عاجلة وسطحية . . إلا أننى من خلالها استطعت أن أعرف النتائج . . وخصوصا النتائج التى تخصنى أنا بالذات والتى كانت من بين ما أسموه «مسئولية شخصية» . . أى أنها مسئولية تقع على كاهلى وحدى وليست مثل مسئولية الآخرين . . تائهة بينهم جميعاً . . أما تلك المسئولية الشخصية فكانت تحيط بى من فوق ، ومن تحتى ، وهنا قلت لمائير :

— إننى أفهم أن علىّ أن أقدم استقالتى .

وبعد تردد قالت لى رئيسة الوزراء :

— بحق الله نعم . يا دادو !

ولكنك لن تذهب هكذا . . ولن ندفنك فى جوف بئر عميقة ، ولن نجعل منك كبش الفداء . . الليلة يادادو ! سوف أعقد جلسة للحكومة ، وأطلب منك أن تحضرها وأن تبين للحكومة موقفك من هذا التقرير قلت لها : إننى أفضل أن أفحص هذا التقرير أولا بدقة . . قبل أن أجيب عن أية أسئلة . .

وبعد ذلك . . فى ساعة متأخرة من ذلك اليوم . . دعوت لاجتماع قيادة هيئة الأركان العامة بعد أن عدت من القدس واتصلت « بتلماه » زوجتى وأخبرتها بأننى سأعود إلى البيت بعد أن أنتهى من اجتماع رئاسة الأركان وأرجو ألا تنامى أنت والأولاد الثلاثة — هيلاه — وجدعون ويائير ، قلت لها ذلك لأننى كنت أشعر أن على عاتقى واجباً خاصًّا تجاه أسرتى ؛ هذا الواجب يملى على أن أقص لهم بالتفصيل كل شىء ، وكل ما حدث ابتداء من الحرب وحتى تقديمى لاستقالتى من الجيش . . إلا أننى تذكرت أن ابنتى هيلاه . . تؤدى خدمتها العسكرية فى الجيش ، وليست فى البيت ، ولذا اتصلت بقيادة وحدتها وطلبت منهم أن يسمحوا لها بالعودة إلى البيت هذه الليلة .

وبعد أن أنهيت المكالمة التليفونية مع زوجتى . . اتجهت إلى فندق

الملك داود . . لكى أنفرد بنفسى هناك ولو بعض الوقت . . فى إحدى الغرف المخصصة لمكتب رئيسة الحكومة . . كنت وحيداً ليس معى إلا حقيبة صغيرة . . دبلوماسية ، كنت أعتز بها جدًّا . . فقد كانت بالنسبة لى فأل خير ، وكنت أسميها حقيبة جيمس بوند لأن لها قصة . . لا أجد بدًّا من سردها الآن . .

ففى إحدى الليالى وأثناء عودتى مع نسمات الفجر الأولى من الجبهة الشمالية — بعد ليلة طويلة قضيتها هناك . . حيث كانت قواتها تقوم بتنفيذ إحدى عملياتها الخاصة . . أقول أثناء عودتنا رأيت تحتنا على الطريق الموازى لشاطئ البحر سيارة . . كانت تسير بمفردها وفجأة رأيت السيارة تنحرف عن الطريق المرتفع نسبيًّا وتسقط والنيران مشتعلة فيها ، وعلى الفور أمرت قائد الطائرة الهليكوبتر التى أستقلها بالهبوط إلى جانب السيارة . . التى تحترق وبالفعل نجحنا فى إنقاذ ركابها وكانوا عبارة عن رجل وزوجته فى حالة خطرة . . فنقلناهما معنا فى الطائرة . . إلى مستشفى حيفا ، وبعد مرور فترة اتصلت تلك الزوجة بى . . بمكتبى وأخبرتنى عن رغبتها فى مقابلتى لشكرى على ما قمت به من إنقاذها ولأشترك معهما هى وزوجها فى حفلة صغيرة يقيمانها بمناسبة نجاتهما من الموت . . كما أنها أخبرتنى أنهما أعدا لى هدية صغيرة خاصة ، ولذا يتحتم على الحضور لاستلامها ، وفعلا ذهبت إلى الرجل وزوجته وكانت هديتهما لى تلك الحقيبة . . التى أطلقت عليها فيما بعد حقيبة جيمس بوند .

نعود ثانية إلى ذلك اليوم الثانى من شهر أبريل ١٩٧٤ . . بعد أن توجهت إلى الفندق ، توقفت على بابه وفتحت حقيبة جيمس بوند وأخرجت منها مسدسى الخاص وأعطيته للسائق نعيم . . الذى أخذه وعاد إلى السيارة . . أما أنا فأخذت أشق طريقى عبر ردهات الفندق إلى الغرفة ، وهناك فى الغرفة . . كانت النافذة مفتوحة . . وكانت تطل منها مناظر المدينة القديمة ، ونسمات هواء رقيقة وإن كانت تبدو ساخنة بعض الشيء وهنا عادت أفكارى ثانية إلى تلك الأيام البعيدة منذ ٢٦ عاما ، وإلى تلك المعارك . . التى كان لى شرف خوضها فوق أرض هذه المدينة – تذكرت المعارك العنيفة . . التى تمكنا فيها من احتلال جبل صهيون والحى اليهودى . . إلاأننى حقاً أقول . . لم أستطع التركيز فى شيء . . كنت مذهولاً . أبدو وكأننى أفكر فى لاشيء وأنظر إلى لاشيء . . كل ماااستطعت أن أفعله أننى قلت لنفسى : إننى يجب أن أفكر . . فيما أنا مقبل عليه . . يجب أن أتحرك إلى الأمام خطوة بخطوة ، وأول خطوة يجب أن أقوم بها الآن أن أكتب خطاب الاستقالة . . إلاأننى بالفعل لم أستطع . . بل بدأت أعاود القراءة وأقرأ من جديد . . بنظرات زائغة . . فى ذلك التقرير الذى معى – تقرير لجنة أجرانات – لم أستطع القراءة وأيضا لم أستطع الكتابة . . فقلت لنفسى : لن أكتب هذا الخطاب الآن . . قبل أن أجلس مع أصدقائى وأناقش معهم الصيغة . . التى سأكتبه بها . .



دافيد اليعازار يروى ما حدث له

وبدأت أحملق فى فراغ الحجرة من جديد . . إننى متأكد الآن . . أن فترة طويلة وملتهبة من حياتى على وشك نهايتها ، ونهاية كهذه . . لم أكن أتوقعها . . حتى فى أكثر أحلام حياتى سواداً ووحشية . . فأنا قد وصلت إلى هذه الأرض – إسرائيل – فى مثل هذه الأيام أيضا من بداية الربيع . كان أيامها عيد الفصح على الأبواب . . حدث ذلك منذ ثلاثة وثلاثين عاما مضت ، وكان عمرى وقتها ١٦ عاماً . ومنذ ذلك الحين وأنا مجند فى خدمة إسرائيل والدفاع عنها . . بدأت خدمتى العسكرية فى البالماخ – الجناح المتطرف من اتسل – وبعد ذلك أكملتها فى جيش الدفاع الإسرائيلى ، وبعد فترة طويلة من الخدمة . . كوفئت بتعيينى رئيس هيئة الأركان العامة التاسع لجيش الدفاع الإسرائيلى . وكان قدرى أن أتولى هذا المنصب أثناء أفظع حرب شهدتها إسرائيل ، أعنى حرب يوم الغفران . .

مقدمة الصحفى الإسرائيلى حنوخ يدطوف لمذكرات دافيد اليعازار

هكذا أراد المرحوم الجنرال « دافيد اليعازار » أن تكون كلماته السابقة هى مقدمة مذكراته . . الذى قرر أن يروى فيه أحداثاً هامة فى حياة محارب وقائد . . على أنه اهتم فى هذه المذكرات أن يوضح نظريته ونظريات زملائه العسكريين . . قبل حرب يوم الغفران وفى أثنائها .

وعلى مدى سنتين . . منذ استقالته فى أبريل ١٩٧٤ إلى موته المفاجئ فى منتصف أبريل عام ١٩٧٦ . . خصص دافيد اليعازار . . جزءاً كبيراً من وقته وجهده . . من أجل هذه المذكرات . . من أجل أن تصل الحقائق كاملة إلى شعب إسرائيل .

وفى مرحلة معينة من كتابته لهذه المذكرات . . . توجه إلىّ دافيد اليعازار – دادو – وسألنى إن كنت مستعداً لمساعدته فى وضع الخطوط النهائية والقالب الصحفى النهائى لمذكراته وإعدادها النهائى للطباعة .

والحقيقة أننى ترددت كثيراً . . بل كنت على وشك أن أقول له :

لا . . اعفنى من هذا أيها الصديق دادو . . إلا أننى وجدت الكلمات التى تخرج من فمى تقول له :

– نعم لك ماتطلب أيها القائد !

أما لماذا ترددت ؟ فقد يكون لأننى لم أقم بمثل هذا العمل من قبل ، ولم أفكر يوماً أننى قد أقوم بمثل هذا العمل ، أوربما لأننى لم أر فى نفسى استعداداً لمثل هذا العمل . . الذى يتطلب من بين مايتطلبه اتصالات خاصة ، وخبرة بالنواحى العسكرية . وأيضا . . يتطلب ميلا نفسيًّا . . لم يكن متوافراً لدى . . لأننى إحقاقاً للحق . . كنت مملوءاً بالحزن الدفين وبالأسى البالغ . . بسبب الوضع الذى وجدنا عليه أنفسنا مساء يوم الغفران . .

ففى مساء ذلك اليوم وقع زلزال مروع وعاصفة مباغتة . . وقعت حرب قاسية . . لاأجد عندى كلمات . . لأصف مدى قسوتها . . دفعنا ثمنها حياة الكثيرين من أبناء هذا الوطن – إسرائيل – وتركت فى جسد هذه الأمة – يقصد الأمة اليهودية – جرحا غائراً . . لن يندمل بمرور الأيام . . ولاأريد الخوض فى النتائج الأخرى . . التى خلقتها هذه الحرب . . أعنى النتائج الداخلية والخارجية . . لاأريد الخوض . . لأن مشاعرى لاتطاوعنى الآن . . لاتطاوعنى حينما أكتب عن صديقى – دادو – ولكنها طاوعتنى كثيراً حينما كنت أكتب عن نتائج هذه الحرب فى عمودى اليومى . . بجريدة معاريف أوفى مناسبات أخرى . .



دافيد اليعازار مع أسرته

أما لماذا استجبت لصديقي دادو ؟ فربما لأنني لم أجد عندى القدرة لكى أجيبه بالرفض . . أوربما لأنني قدرت أن هذا الطلب من قائد عسكرى كبير وفى نفس الوقت صديق عزيز لى . . هذا الطلب ليس إلا نوعاً من تلك الأوامر . . التى لايمكن رفضها . . أوربما بسبب تأثير دافيداليعازار الشخصى بالنسبة لى . . كأحد محاربى إسرائيل الكبار . . والتى قالت عنه لجنة أجرانات نفسها . . التى أدانته : بأنه خدم الدولة بإخلاص وتفوق على مدى سنين طويلة ، واستحق أرفع الأوسمة فى حرب الأيام الستة - حرب يونية - وقبلها وبناءً على كل هذا لم أستطع الأأن أجيبه بقولى :

- نعم لك ماتريد أيها القائد . .

من هو : دافيد اليعازار

من مواليد عام ١٩٢٥ بسرايبفو فى يوغوسلافيا وقد أنهى دراسته فى المدرسة العليا بزغرب فى يوغوسلافيا . . ثم هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٤٠ .

وفى عام ١٩٤٦ التحق بالبالماخ الجناح المتطرف من منظمة اتسل ومعناها : المنظمة العسكرية الوطنية لإسرائيل (ارحـوث تثائى لئومى) ، واشترك دافيد اليعازار فى حرب ١٩٤٨ .

وفى عامى ١٩٥٢ و١٩٥٣ خدم دافيد اليعازار فى شعبة العمليات فى القيادة العامة . ثم التحق بعد ذلك بالجامعة العبرية لدراسة الاقتصاد وشئون الشرق الأوسط . ولكنه استدعى عندما تم تعيين موشى ديان رئيساً للأركان لكى يتولى مهمة قيادية فى هيئة التدريب . . ثم عين بعد ذلك قائداً للواء مدرع واشترك لواؤه فى أثناء حرب عام ١٩٥٦ .

اشترك فى حرب الأيام الستة – حرب يونيو عام ١٩٦٧ – على الجبهة

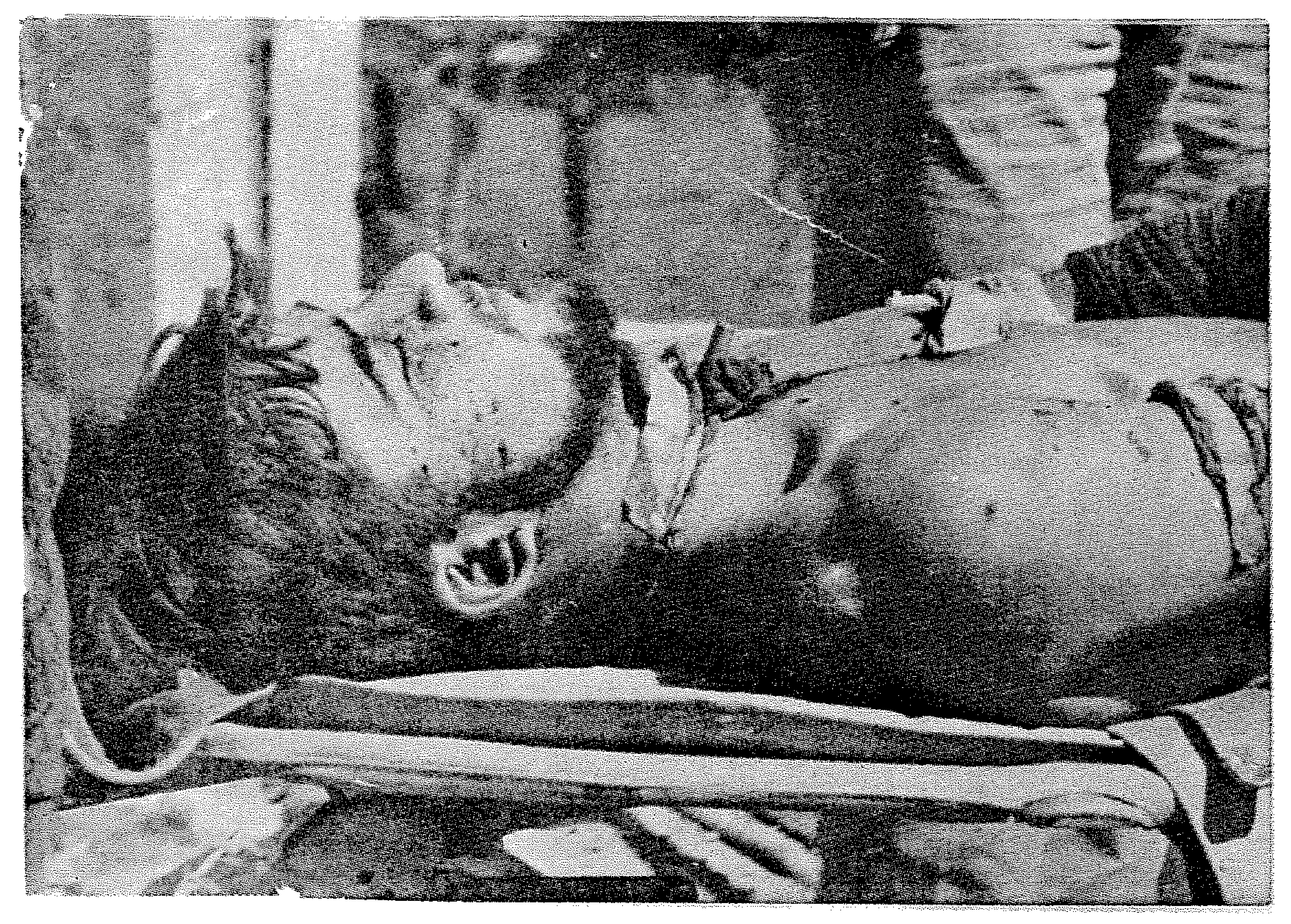
الأردنية كما انتقل إلى الجبهة السورية فى أثناء هذه الحرب . وخاض فيها عدة معارك .

وفى ١ يناير عام ١٩٧٢ تولى رئاسة أركان حرب الجيش الإسرائيلى واستقال من منصبه كرئيس للأركان فى ٢ أبريل عام ١٩٧٤ .

بعد أن أدانته لجنة التحقيق بقيادة القاضى أجرانات والتى تشكلت فى إسرائيل بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ لتقصى حقائق وأسباب الهزيمة .

وتوفى فى منتصف أبريل عام ١٩٧٦ وذلك إثر إصابته بأزمة قلبية . .

اسم التدليل الذى كان يناديه به معظم قادة الجيش فى إسرائيل كان (دادو) .



جندى إسرائيلى ميت .. إنه لا ينطق ومع ذلك يعبر تماماً عما حدث فى حرب أكتوبر



تمهيد

لم يدر بخاطرى . . حين التحقت بقسم اللغة العبرية . . بجامعة الأزهر . . أن عملى بعد ذلك سيكون فى مجال الصحافة ، وبناء عليه ستكون مسئوليتى بالدرجة الأولى . . أن أنقل إلى القراء العرب ، وأكتب لهم عما يدور هناك عبر الحدود فى إسرائيل ، بل إن التحاقى بهذا القسم لم يكن يخرج فى ذلك الوقت عن كونه مجرد رغبة . . فى معرفة اللغة الرسمية لإسرائيل ، ولاأستطيع أن أنسب لنفسى شرف تصميمى على دخول هذا القسم ، ودراسة اللغة العبرية . . أن ذلك كان تعبيراً عن تحد وطنى مصرى من جانبى . . لأولئك الذين على أيديهم عرفت لأول مرة فى حياتى كلمة « نكسة » فى عام ١٩٦٧ ، وكنت أيامها فى المراحل الأولى من دراستى الثانوية ، وسمعت لأول مرة فى حياتى أصوات انفجارات القنابل فى المطار القريب من قريتنا بالدلتا ، واعتقدنا يومها . . أنا وكل سكان القرية الذين تجمعوا لمعرفة

مايحدث . . أنه لابد وأن تكون أصوات هذه الانفجارات نتيجة تساقط الطائرات الإسرائيلية . . التى كنا نستمع من إذاعتنا فى مدى ربع ساعة تقريباً أنباء سقوط عدد كبير منها .

وبعد ذلك لاأستطيع أن أمحو من ذاكرتى تلك الساعات الحزينة ، والمبلّلة بالدموع حين وقف جمال عبد الناصر – وكنا وقتها مع غروب الشمس – لينطق باسم النكسة ذلك الاسم الكريه اللعين . . الذى خرجت جماهير مصر كلها لترفضه ، وهنا قررت دراسة هؤلاء القوم من خلال لغتهم . . حتى أستطيع بقدر الإمكان مساعدة مصرنا العزيزة فى محو عار الهزيمة .

أعود فأقول لاأستطيع أن أنسب لنفسى شرف هذا التصميم على دراسة اللغة العبرية من جانبى ، بأنه كان تعبيراً عن تحد وطنى مصرى . . لأن التصميم على دراسة اللغة فى حد ذاته . . لايمكن أن يقارن بما قدمه أبناء مصر . . الشهداء فى حرب أكتوبر وقبلها . . فقد قدموا حياتهم فداء للوطن ، وهل هناك شىء أغلى من الحياة .

وكان مؤتمر القاهرة التحضيرى لجنيف . . الذى عقد بفندق مينا هاوس بالقاهرة فى أواخر عام ١٩٧٧ . . هو اللقاء الفعلى الأول لى مع الصحفيين الإسرائيليين وتناقشت معهم طويلاً فى كثير من القضايا الهامة ، وبالطبع كانت الحروب التى دارت بيننا وبينهم إحدى هذه القضايا الهامة ، وفى مناقشاتى التى دارت معهم حول حرب أكتوبر . .

كان منهم المتفهمون . . أصحاب النظرة المعتدلة . . الذين اعترفوا بأن إسرائيل قد منيت بهزيمة قاسية فى هذه الحرب وكان على رأس هؤلاء الصحفى الإسرائيلى الكبير زئيف شيف المحرر العسكرى ، وعضو مجلس تحرير صحيفة هاآرتس الإسرائيلية وصاحب كتاب زلزال فى أكتوبر. أجزاء منها فى «أكتوبر» .

وكان على النقيض من هؤلاء بعض الصحفيين الإسرائيليين . . الذين حاولوا أمامى التطاول على نتائج انتصاراتنا فى حرب أكتوبر ، وحاولت الدخول معهم فى نقاش علمى حول تفاصيل هذه الحرب التى قالوا ومازالوا يقولون عنها إلى الآن - بأنها كانت أقسى حرب شهدتها إسرائيل على مدى تاريخها .

* * *

لذلك بدأت أنشر فى مجلة أكتوبر بعض المقالات التى توضح لهؤلاء المغالطين ماتعمَّدوا أن يغيب عن ذهنهم رغم وضوحه أمام أعينهم ، كما قدمت إلى الأستاذ أنيس منصور رئيس تحرير مجلة أكتوبر هذه المذكرات . . التى اعترف فيها من كان على قمة السلطة العسكرية ، فى أثناء حرب أكتوبر ، وهو الجنرال دافيد اليعازار- رئيس أركان الجيش الإسرائيلى فى هذه الحرب بالانتصار الذى حققه الجيش المصرى وماكان عليه الجيش الإسرائيلى ، وتفضل الأستاذ أنيس منصور مشكوراً بنشر أجزاء منها فى «أكتوبر» .

والآن – عزيزى القارئ – أتركك مع المذكرات الكاملة التى كتبها الجنرال دافيد اليعازار بخط يده بعد أن قدم استقالته فى عام ١٩٧٤ .. يعترف فيها بما كان .. فى حرب أكتوبر ! !

رفعت فودة

المنصورة فى ١٠ / ٠٧ / ١٩٧٨

مناقشات الربيع

كانت الاحتفالات بعيد الفصح على وشك أن تبدأ . . فى أوائل الربيع من عام ١٩٧٣ ، وكانت الفرحة الممزوجة بالفخر . لاتزال لها آثار واضحة على وجوهنا . . بسبب النجاح الباهر الذى حققناه فى هجومنا على بيروت ، واستطعنا فيه قتل ثلاثة من قادة المخربين (الفدائيين) الكبار فى عقر دارهم ، واعتبرنا أن هذا النجاح هو الهدية . . التى يمكن أن نقدمها لشعب إسرائيل بمناسبة عيد الفصح القادم على الأبواب . .

ولكن على الرغم من مظاهر الفرحة . . التى ارتسمت على وجهى . . كان مايدوز فى عقلى شىء مختلف تماماً . . فمازالت تلك الخاطرة تراود فكرى ، ولاأكون مبالغاً إذا قلت كانت تثقل كاهلى ، وهى إمكانية أن تبدأ مصر علينا هجوماً مباغتاً . . هجوماً تفاجئ به جيش الدفاع الإسرائيلى ، والحكومة الإسرائيلية .

وأمر كهذا لوحدث . . ماذا سيكون موقفنا ، وكيف سيكون عليه حال قواتنا . . التى لم نكن قد أعددنا لها خططاً دفاعية ، ووقائية كافية فى حالة هجوم كهذا ، ولم نستعد جدياً بعد . . لمثل هذا الموقف . . بعد أن تضخم لدينا الشعور بالتفوق المطلق بعد حرب الأيام الستة – حرب يونية ١٩٦٧ – ومن أجل هذا . . اقترحت على رئيسة الحكومة ، وعلى وزير الدفاع – فى ذلك الوقت – موشى ديان ، وعلى الجنرالات الكبار فى هيئة الأركان . . أن نبدأ على الفور فى وضع خطط عملية ، والقيام بمناورات تكتيكية . . الهدف منها تقوية القدرة القتالية لدى جيش الدفاع الإسرائيلى فى حالة تعرضه لهجوم مفاجئ ، وحدث أن تأخر استدعاء قوات الاحتياط لسبب أولآخر ، خصوصا وأن الأنباء المتواترة . . والتى تفيد بأن مصر تنوى . . أن تبدأ هجوماً علينا فى بداية الصيف هذا العام . . مازالت تتوالى ، واقترحت عليهم أن نطلق على اقتراحى هذا مشروع – كاحول لافان – أزرق وأبيض – ولكن الذى حدث هو أن رئيسة الوزراء السيدة جولدا مائير . . لم توافق على اقتراحى هذا ، واقترحت هى عقد اجتماع لهيئة الأركان يحضره القادة العسكريون الكبار والزعماء السياسيون فى وقت قريب . . بعد احتفالات عيد الفصح .

وبالفعل عقدنا هذا الاجتماع ، وكان السؤال . . الذى طرحته رئيسة الوزراء يدور حول إمكانية وقوع أى عمل عسكرى من جانب السادات

فى صيف ١٩٧٣ ، وأن مايحدث . . عبر الضفة الأخرى من قناة السويس . . ليس سوى لعب بالنار . . لامعنى له ؟ . . وأضافت مائير قولها : مع الوضع فى الاعتبار أن أنباء متزايدة ؟ قد توافرت . . لدى أجهزة مخابراتنا عن أن المصريين ينوون القيام بعمل ما خلال الصيف . . كما كانت هذه الأنباء تتضمن معلومات حول الخطوط الرئيسية . . لخطة الحرب المصرية وكذلك عن طبيعة القوات التى أعدتها مصر للعبور ، ونظامها ، والجداول الزمنية لجميع تحركات هذه القوات ، وتدريباتهم والاحتمالات التى من الممكن أن يقوموا فيها بأى عملية . . تستهدف عبور القناة .

ولكن الذى حدث فى هذا الاجتماع . . كان مشابهاً تماماً لما حدث فى اجتماعنا فى نوفمبر عام ١٩٧٢ . . حينما وقف « إيلى زعيرا » رئيس فرع المخابرات ليعلن ويؤكد : أن كل المعلومات الجديدة التى لدينا ليس بها ما يحملنا على تغيير آرائنا ، وتغيير تقديراتنا للموقف ، وتبعاً لذلك خططنا . . فالمصريون ليسوا على درجة من الغباء لا تمكنهم من معرفة أن ما يدور على جبهتهم فى الضفة الأخرى من القناة بحوزتنا . . كل تحركات قواتهم . . بل كل شىء عن هذه القوات نفسها ، ولهذا السبب بالذات . . فإنهم بدءوا يبحثون عن طرق أخرى بديلة تبعدهم تماماً عن فتح نيرانهم علينا ، أو محاولة عبور القناة .

فحافظ إسماعيل مستشار السادات للأمن القومى سوف يقابل كيسنجر

فى ١٩ مايو القادم ، وبريجنيف هو الآخر سوف يزور أمريكا فى يونية ، إن المعنى الوحيد لكل هذا هو أن السادات قد اقتنع تماماً أنه لاجدوى من طريق الحرب ، واختتم زعيرا حديثه قائلا :

أيها السادة . . إننى متأكد الآن بأن السادات أصبح مقتنعاً تماماً بأن النتيجة المنطقية الوحيدة لأن يفتح نيرانه علينا هى هزيمة ساحقة له ، ولقواته ، وأنه بناء على هذا قد غير من تقديراته للموقف ، ومن هذه النتيجة المنطقية . . تتضح لنا صورة مقدماتها . . فالسادات يريد أن يخلق جواً يملؤه عواصف التهديدات . . لكى يضمن موقفاً تفاوضياً أقوى عندما تبدأ اللقاءات السياسية فى مايو ويونية ، ومن هنا أيضا يتضح الهدف . . الذى يريده السادات من الأمريكيين ، فتواتر الأنباء عن قيام السادات بحرب ضدنا وتعمده أن تصل هذه الأنباء إلى أمريكا . . سيخلق لدى الأمريكيين حساسية مفرطة . . لأى عمل عسكرى من جانبه – حتى ولوكان استدعاء الاحتياط – الأمر الذى سيجعلهم يتدخلون على الفور لمنع وقوع حرب ، أونزاع مسلح فى المنطقة ، ومن هنا يتحركون لفرض تسويات سياسية . . ستكون نتيجتها – بالتأكيد – سلبية بالنسبة لنا . . لأنها تعنى انسحابنا من على خط القناة ، وهذا مانرفضه تماماً .

أما وزير الدفاع – فى ذلك الوقت – موشى ديان . . فكان تقديره للموقف موافقاً تماماً لما رآه زعيرا رئيس فرع المخابرات : فى أن السادات

يريد بتحركاته على الجبهة هذه الأيام . . تظاهراً بالقوة . . لكى يدعم موقفه فى المفاوضات السياسية المقبلة على الأبواب ، ولكن موشى ديان أضاف إلى ذلك أمراً جديداً حين قال : ولكن المصريين قد يفتحون نيرانهم بشكل محدود . . لكى يتوصلوا إلى تحريك الموقف سياسياً ، وهذه المعلومات الأكيدة التى بحوزتنا ، والتى أصبحت تأتينا من مصادر متعددة عن نشاطهم المكثف على الجبهة . . ليست إلادليلا على أنهم – فيما يبدو – ينوون القيام بعمل ما . . عمل حقيق هذه المرة . . فالمعلومات أصبحت بصورة أكثف عما كانت عليه فى نهاية ١٩٧٢ ، ولكن ليس هذا مايجب أن نفكر فيه الآن ، إن ماعلينا أن نفكر فيه . . هو الطريقة التى نستطيع بها أن نمنع السادات من تحقيق هدفه ، وهو دخول الأمريكيين فى مفاوضات سياسية معه ، وإذا نحن قمنا باستدعاء الاحتياط أوبالاستعدادات العسكرية . . فإننا بذلك نحقق له هدفه . . لأن الأمريكان سيتدخلون لمنع نشوب الحرب ، ومن هنا فإن علينا – لكى نهدئ الجو – أن ننقل إليهم . . يقصد إلى الأمريكان ، هذه المعلومات الأكيدة التى لدينا عن استعدادات مصر لشن حرب أخرى علينا ، ولكن دون أن نرفقها بتقدير ، وتقييمنا النهائى – سواء كان إيجابياً أوسلبيًّا – وبالطبع نطلب منهم أسلحة جديدة ، وهكذا أقر ديان رأى زعيرا مدير المخابرات . . ولكنه إرضاءً لى أضاف قائلا : إلاأنه مع هذا لايستبعد أن يبدأ المصريون الحرب ، ولذا فإن علينا أن نستعد ، ولكن

دون أن نظهر ذلك ، وإذا كانت بحوزتنا معلومات مؤكدة عن قيام العرب بحرب ضدنا فإنه يجب أن تكون بحوزتنا خطة جاهزة ليس فقط للدفاع بل لمنع هذه الحرب . . قبل أن تقع ، وإن كنت شخصيًّا أرى تناقضاً كبيراً فيما يجرى أمامى . . فالسادات يعبئ جيشاً من حوالى نصف مليون جندى يقبضون أجورهم ، ونحن قد قمنا باستفزازهم أكثر من مرة . . حينما أسقطنا سبع طائرات للسوريين فى معركة جوية ، وهنا تذكر ديان أنه لابد أن يفتخر فأضاف : تلك المعركة التى كانت بحق استكمالا لبطولاتنا الجوية فى حرب الأيام الستة – حرب يونية ١٩٦٧ – أو بمعنى آخر تأكيداً لجدارتنا واستحقاقنا لهذا النصر الجوى الباهر فى تلك الحرب . . إلى جانب قتل رؤساء المخربين (الفدائيين) فى قلب بيوتهم ببيروت . . تلك العملية التى بالتأكيد قد نزلت كالصاعقة على رءوس العالم العربى كله . . كل هذا يجرى أمام عيونهم ، وكل مايفعلونه هو أنهم يتحركون على الجبهة ، إننى أنوى وضع خطة . . قد تكون شبيهة لما يدور فى خيال رئيس الأركان – يقصدنى أنا – ولكننى أضيف إليها أننى سوف أمنع . . بل أقضى على أى تحرك من جانبهم إلى الأبد ، وأقترح تسميتها : الحزام الأسود .

وهنا أضفت أنا قولى : ولهذا السبب فإننى أعتقد أننا يجب أن نستعد ، يجب أن نجهز خطة سريعة للقضاء على أى هجوم عربى مفاجئ . . من جانب تلك القوات . . التى أصبحت تتحرك كثيراً هذه

الأيام . . إنكم لو سألتمونى ماهى النسبة التى تضعها لقيامهم بمثل هذا العمل . . فإننى سأقول لكم على الفور ، إنها نسبة مرتفعة جداً ، أيها السادة : إن استعدادتهم هذه المرة أكثر جدية من المرات السابقة . . إلاأننى أقدر أنهم لن يبدءوا القتال – إذا قرروا ذلك – قبل شهر من الآن . . ولذلك فأمامنا وقت كاف لتجهيز قواتنا بخطة – كاحول لافان – التى اقترحها ، والتى تهدف إلى استعدادنا لأى هجوم مفاجئ وعلى الفور رد ديان قائلا :

إننى أؤيد تجهيز خطة . . قد تكون مشابهة لما يقترحه رئيس الأركان – يقصدنى أنا – ولكننى أضيف إليها . . أننا نكون جاهزين لمنع أى تحرك عربى . . لالصد أى هجوم عربى . . سوف نجعلهم عاجزين عن الحركة . . قبل أن يتحركوا ، وهذه هى خطة الحزام الأسود . . التى ستحقق هذا الهدف . .

وانتهى هذا الاجتماع . . بعد أن اتفقنا على أن نستكمل هذه المناقشة بعد ثلاثة أيام . . أى فى ليلة عيد الفصح .

* * *

وفى اجتماع ليلة عيد الفصح . . تحدث أيضا إيلى زعيرا فقال ضاحكاً :

إنه يبدو لى أننا نجتمع هنا . . لكى نتبادل تهانى عيد الفصح . . ولكن لنتناقش مرة أخرى فى أمر هذه الأنباء المتزايدة عن تحركات

المصريين ، والتى تدعونى إلى أن أعود ثانياً وأؤكد لكم : أن طائرات الميراج الليبية . . التى تلقتها مصر وكذلك طائرات هانتر العراقية لا يمكن إطلاقاً أن تكون ذات تأثير على تفوقنا الجوى الأبدى – ولن تستطيع هذه الطائرات أو غيرها أن تخلق ميزان قوى جوى جديد فى المنطقة ، وأنه لم يحدث أى تغيير حقيقى فى قوة مصر عما كانت عليه فى عام ١٩٧٢ .

وفى هذه المرة اشترك فى المناقشة الجنرال أرئيل شارون قائد الجبهة الجنوبية فى ذلك الوقت فقال :

إننا مستعدون فى سيناء لنشوب حرب أخرى ، أوأى أعمال استفزازية من جانب المصريين ، فى تقديرى الإجمالى نحن أفضل منهم بمراحل فى كل مايتعلق بالاستعداد وسرعة التحرك ، والاتصال والإشارة ، كذلك الوضع الاستراتيجى الممتاز . . الذى خلقه لنا خط بارليف . . بعد مياه القناة . . إن جنودنا محميون وراء ساترٍ صلدٍ . . لا يمكن اختراقه ، وحتى إذا حدث المستحيل ، واستطاع المصريون اقتحامه . . فإنهم سيفاجأون بنوعية جنودنا المتفوقة ، جنودنا الذين لايراودنى أى شك فى أنهم يستطيعون أن يحاربوا بدون هذا الخط – يقصد خط بارليف – أما فيما يتعلق بالتخطيط الحربى ، وتجهيز الخطط فنحن مستعدون بالفعل ، فعندنا خططنا ، ومنذ فترة ليست طويلة جربنا هذه الخطط . . فى مناورات ميدانية ، وأثبتت بالفعل فعاليتها ، وصلاحيتها . . إلا أنه اختتم حديثه قائلا : ولكن الشىء الوحيد . . الذى أراه ناقصاً هو تقوية



ديان : انظر جيداً يا دادو أمامك حلم مستقبلي

النقاط الحصينة . . التى وضعنا خططنا لعبور القناة منها – إذا استدعت الضرورة – علينا أن نجهز هذه النقاط . . بكل مايلزمنا لعملية العبور هذه ، حتى لايضيع الوقت . . قبل أن نفعل ذلك .

وشارك بالحديث فى هذه المناقشة أيضاً عدد كبير من جنرالات هيئة الأركان العامة منهم الجنرال شموئيل جونين . . الذى كان يوافقنى الرأى فى أننا يجب ألاتتجاهل كل مايحدث على الضفة الأخرى من القناة ، وننظر إليه وكأن شيئاً لم يكن . . بل علينا أن نجهز أنفسنا بخطط جادة للحرب وقال : ربما كما تقولون . . لن يحدث شىء . . لأن مصر غير قادرة على شىء ولكن إذا حدث . . فإننا لن نستطيع أن نبرر حدوثه سواء أمام أنفسنا ، أوأمام الآخرين . . لن نستطيع أن نقول لهم فى تبريرنا : إننا اعتقدنا أن حرباً لايمكن أن تندلع . . إن مأأراه أمامى خطر حقيقى . . هذا الخطر يكمن فى تزايد قوة دول المواجهة مؤخراً ، وخصوصاً قوة سلاح مدرعاتهم . . فمصر – طبقا لمعلوماتنا – أصبح لديها الآن مايزيد على ألف دبابة ، وكذلك السوريون أصبح لديهم مايزيد على ٥٠٠ دبابة أخرى . . إننى أرى وجوب إدخال تجديدات جذرية فى سلاح مدرعاتنا ووضع خطة على المدى البعيد بناء عليهاتتعاظم قوة الدبابات لدينا وليكن ذلك على حساب الأسلحة البرية الأخرى .

غير أننا فى نهاية المناقشات والمداولات . . اقتنعنا جميعاً بما يقوله لنا زعيرا رئيس فرع المخابرات والذى يتلخص فى أن مصر بسبب ظروفها لن

تحارب الآن ، أوفى المستقبل القريب . . على أننا قررنا أن يذهب الجنرال ديان إلى واشنطن لكى ينقل إليهم كل المعلومات . . التى لدينا . . دون أن نبدى لهم وجهة نظرنا بالإيجاب أوبالسلب . . حتى نستطلع رأيهم فى هذا الموضوع الخطير ، ويكون وسيلة أخرى للحصول على مزيد من الأسلحة .

الحزام العسكرى الأسود :

حلم موشى ديان ! !

كان الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت ، والذى يشغل حالياً منصب وزير الخارجية . . عائداً لتوه من رحلة قام بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى أوائل عام ١٩٧٣ . وسمعت أنه كان متفائلا للغاية .. لأننى بسبب وعكة صحية خفيفة لم أحضر اجتماع مجلس الوزراء .. الذى قدم فيه الجنرال ديان تقريره عن نتائج هذه الرحلة .

وكانت بادرة طيبة منه أن زارنى فى بيتى عقب انتهاء جلسة مجلس الوزراء . . والحقيقة أننى كنت متشوقاً لمعرفة نتائج المباحثات التى أجراها ديان فى واشنطن ولكنه ، بعد أن أمضى عدة دقائق فى أحاديث المجاملة الأولى . . لم يفتح هذا الموضوع ، وإنما أخرج من حقيبته الصغيرة . . خريطة عسكرية . . رسمها بخط يده . . ثم نظر إلى طويلا ، وقال قبل أن أوجه إليه أى سؤال :

انظر جيداً يادادو . . ! – وكان هذا اسمى الذى يحب ديان أن يناديني به – إن ماتراه أمامك هو حلم مستقبلى . . إنه إسرائيل الآمنة إلى الأبد . . سوف أجعل حدودى مع العرب قوية . . وحصينة . . ولا أكون مبالغاً إن قلت لن يخترقها الهواء ، وألقيت نظرة فاحصة على الخريطة العسكرية . . وفهمت على الفور أنه لكى تتحقق الخطوط . . التى رسمها ديان على أوراق الخريطة ، وأطلق عليها اسم « الحزام الأسود » يحتاج تحقيقها إلى عدة عوامل أهمها :

أولا : ضم جنوب لبنان كله إلى إسرائيل .

ثانياً : ضم أجزاء أخرى من جنوب سوريا وشمالها .

ثالثاً : إنشاء خط محصن يشبه خط بارليف فى غور الأردن لحماية المستعمرات .

رابعاً : تحويل سيناء كلها إلى مركز تجارب للمفاعلات الذرية . .

وكان المعنى الوحيد للأفكار التى طرحها أمامى ديان هو القيام بحرب أخرى مع العرب ، وفهم ديان هذه المعانى . . التى تدور فى ذهنى . . لذلك أردف قائلا : أعتقد أنه بالإمكان تحقيق ذلك فى أواخر عام ١٩٧٣ . . ثم قال إن المسئولين فى أمريكا لم يوافقوا على هذا المشروع حالياً . . ولكنهم أيضاً لم يعترضوا . . ومعنى ذلك أنهم تركوا لنا حرية التصرف ، والاختيار . . . ثم لخص لى ديان أخيراً نتائج زيارته إلى واشنطن فى عبارة واحدة :

لقد حصلنا على كل ما طلبنا . . بأكثر ، وأسرع مما كنا نتصور . .

انصرف ديان ، وعينه تلمع ببريق حلمه المرسوم فى الخريطة العسكرية . . التى يحملها فى حقيبته وهو «صنع حزام عسكرى أسود» حول إسرائيل . . يحقق هدفين رئيسيين :

الأول : تأمين إسرائيل إلى الأبد من أية عمليات عسكرية عربية .

والثانى : جعل زمام المبادرة فى القتال بأيدينا . . فيما لو أردنا ضم أراض عربية أخرى . . لقد كان ديان يحلم بعمل يخلد اسمه إلى الأبد . . تماماً مثلما فعل حاييم بارليف بخطه الدفاعى . . الذى يحمل اسمه على حافة قناة السويس . . هناك فى أقصى الشرق ، وكان معنى ذلك أن يقوم بعد تحقيق حزامه الأسود بتغيير اسمه إلى حزام ديان .

وكنت أعلم جيداً أن ديان سوف يستغل الصراع القائم بين التكتل العمالى – المعراخ – الذى ترأسه مائير – والذى كان حاكماً فى ذلك الوقت – وبين كتلة ليكود المعارضة – فى ذلك الوقت – والتى يتزعمها مناحم بيجين . كنت متأكداً أن ديان سوف يستغل الصراع بين هاتين الكتلتين . . حتى يحصل على الموافقة لتحقيق حلمه . .

لقد كان ديان يفكر . . كما لو أن العرب غير موجودين . . أو أنهم انتهوا إلى الأبد أو كما كان يقول دائماً : الجسد الميت لا يحتاج أبداً إلى أن نقيم له حسابات . .

ثم حدث بعد ذلك بيوم واحد أى فى نفس الأسبوع . . أن تم تغيير

سرى ، وتعديل فى بعض القيادات الجوية السورية . . ونوقش هذا الأمر فى رئاسة الأركان . . ولكننا خرجنا بتحليل واحد . . نكاد نكون شبه مجمعين عليه ، وهو أنه نوع من المناورات الداخلية . . التى تلجأ إليها الحكومات العربية كثيراً . ولكنها أبدا لا تعنى الحرب .

كما وصلت تقارير عن تبادل الزيارات السرية بين بعض المسئولين العسكريين . . المصريين والسوريين – وهذا وإن كنا لم نعرف مغزاه إلا أنه يدل على أن هناك حركة غير عادية . . يجب أن ندرسها بحذر . .

وفى الوقت ذاته زادت حركة الرئيس السادات خارج مصر . ومرة أخرى برز السؤال . . الذى ظل يظهر فى الأفق . . ليقلقنا جميعاً ، وهو ماذا يريد أن يفعل الرئيس السادات . . ؟ وكيف سيتصرف ؟ لقد كان الرأى السائد لدى كل المسئولين لدينا فى إسرائيل . . أن الرئيس السادات يريد أن يقدم للشعب المصرى أى شىء لكى يجعله ينسى الوعد الذى كان رئيسهم قد قطعه على نفسه بأن عام ١٩٧١ سيكون عام الحسم ، ولكن إلى الآن . . ماذايفعل الرئيس السادات ؟

إنه يسعى للمزيد من المساعدات المادية العربية لتعويض العجز الاقتصادى المصرى ، ولقد أصبح فى حكم المؤكد بالنسبة لنا أن مصر لم يصلها من الأسلحة التى طلبتها وتعاقدت عليها مع الاتحاد السوفيتى إلا ما يعادل العشر تقريباً ، وأن هذا ما سوف يتخذه الرئيس السادات ذريعة لإقناع الزعماء العرب الآخرين بعدم جدوى القيام بعمل

عسكرى ضد إسرائيل . . فى المستقبل القريب . .

ولكن كانت هناك تقارير تقول : إن روسيا أرسلت بالفعل أسلحة هجومية ذات مفعول مؤثر لسوريا ، وفى نفس الوقت الذى تدهورت فيه العلاقات المصرية السوفيتية زادت أواصر العلاقات بين سوريا وروسيا ، وكان تعليق «زئيف بالم» أحد محللينا السياسيين على ذلك بقوله : إنها لعبة المبادلة المعروفة فى ميزان العلاقات والمصالح ، ولكن كل ذلك من المؤكد أنه فى مصلحتنا . . وذلك لسبب جوهرى واحد هو أن سوريا لا يمكن أن تفكر فى القيام بعمل عسكرى ضدنا بمفردها . كما أن ذلك سيخلق جو الشقاق الذى يخدم أهدافنا على المدى البعيد

وفى نفس الوقت تقريبا وصلت الأسلحة التى طلبناها من الولايات المتحدة الأمريكية وفى موعد مبكر عن الموعد الذى تحدد قبل ذلك لوصولها . . واعتبر الجنرال ديان وزير الدفاع ذلك بمثابة هز الرأس بالموافقة دون نطق على تحقيق ما يسعى إليه وهو شن ما يسميه بالحرب الوقائية الأخيرة على العرب ، وإقامة حزامه الأسود حول إسرائيل . .

ولكن الشىء الذى كنا نتوقعه ، وكنا نخاف من وقوعه . . قد حدث . . فلقد استطاع هنرى كيسنجر أن يحقق اتفاقية سلام فى فيتنام ، وكانت هذه أولى الخطوات التى دعمت أقدامه ونفوذه لدى الشعب الأمريكى بعد أن أصبح وزيراً للخارجية . . ومعنى ذلك أن الحركة الأمريكية القادمة ستكون بلاشك البحث عن حل سلمى بيننا وبين العرب . .

وطلب الرئيس الأمريكى نيكسون ، أن تزور السيدة مائير رئيسة الوزراء واشنطن فى زيارة عاجلة وسريعة للتباحث .

ولبت السيدة مائير دعوة الرئيس نيكسون ، وعادت من هذه الزيارة وهى أكثر انشراحاً وأملا . . فقد حصلت على قرض غير مدفوع قيمته ٣٠٠ مليون دولار ، وعلى قرض طويل الأجل قيمته ٦٠٠ مليون دولار ، وكانت تريد استغلال هذين القرضين فى النواحى الاقتصادية ، وفى سد عجز ميزان المدفوعات ، ولكن حدث مالم تكن تتوقعه هى فى أثناء انعقاد جلسة مجلس الوزراء ، وإن كنت أنا شخصياً أتوقع أكثر من ذلك . . فقد قدم الجنرال ديان تقريراً عن الاحتياجات العسكرية من شأنه أن يلتهم ثلاثة أرباع القرضين الأمريكيين ، وكان واضحاً أنه يعد لتنفيذ خطته بشن حرب وقائية على العرب . . إلا أن مائير تضايقت من إلحاح ديان لشن حرب جديدة على العرب ، وأنه يريد أن يأخذ إلى ميزانية وزارة الدفاع ثلاثة أرباع القروض الأمريكية لتنفيذ خططه . .

وهنا أود أن أقرر حقيقة هامة ، هى أن الجندى الإسرائيلى عمود اقتصاد فى الدرجة الأولى ، وليس عنصراً عسكرياً فحسب . . لذلك صرخت رئيسة الوزراء بعصبية لوزير الدفاع : لا تنس أننى حين أطالب بتسريح خمسة آلاف جندى . . فإننى أطالب بأحد الحلول الملحة ، والضرورية لاقتصادنا ، ولكن رفض ديان كان قاطعاً . .

والحقيقة أن مائير كانت مستاءة من مناورات ديان التى بدأت

تنكشف ، وتتضح معالمها ، فهو يمارس دورين على الجنود الإسرائيليين :

الدور الأول : إعدادهم لخوض حرب جديدة ضد العرب يحقق بها حزامه الأسود .

والثانى : أنه يعبئهم نفسياً ضد الزعامة السياسية فى إسرائيل . . حتى يستطيع دخول معركة انتخابات رئاسة الوزراء بعد انتهاء مدة مائير ، وهو مطمئن لفوزه ، فقد كان ديان يمثل للشباب الإسرائيلى « أمل إسرائيل » وكان فى اعتقادهم أسطورة لا تقهر . . كما كانت له شعبية كبيرة فى أوساط الشباب خاصة ، والشعب عامة تضايق الكثيرين من القادة عندنا . .

بينما كانت مائير تركز فى اجتذابها للشباب على قضية هامة ، وهى جعل إسرائيل أوربا الشرق الأوسط . وفى الحقيقة لم تكن مائير هى أول من نادى بهذه النظرية . . بل كان هيرتزل هو الذى فعل ذلك ، ولكن هيرتزل كان صاحب نظرية ، أما مائير فكانت تسعى لتحقيقها ، ومعنى ذلك أن يكون لنا اقتصاد متين ، وصناعات متطورة ، وأيد عاملة فنية ، ولكن الحقيقة هى أن جيش الدفاع كان يمتص كل ذلك بشراهة . .

وحينما رفض ديان ماطلبته مائير من تسريح خمسة آلاف جندى إسرائيلى من العمال ، والحرفيين . . ردت عليه مائير بحدّة قائلة : إذا

ت صادقاً فى أن لديك خطة جاهزة لتعبئة إسرائيل كلها فى ست اعات بما فى ذلك الإسرائيليون المقيمون خارج إسرائيل . . فلماذا تخشى ، نستخدم بعض جنود جيش الدفاع فى الخطة الاقتصادية لجديدة . . ؟

وتوتر الجو جداً . . لكن إيبان وزير الخارجية حسمه بعبارة واحدة ين قال :

فلنجر استفتاء بين القيادة حول هذا الأمر . . وانتهى هذا لاجتماع ، وقد أصبح العداء واضحًا ومستحكماً فى العلاقة بين ديان مائير ، وهذا ما كنا نحرص على ألا يتسرب خارج قاعات الاجتماع . .

الجبهة السورية كانت متوترة ، والسوريون يقومون بانتهاكات كثيرة وقف إطلاق النار ، وعمليات المخربين (الفدائيين) فى تزايد ستمر . . لكننى حينما انفردت بديان فى جلسة خاصة فى منزله قال لى هو يبتسم : يادادو أريد أن أصارحك بشىء أود تنفيذه معاً «إننى عترض على كل أفكار مائير . . إنها مازالت لا تفهم أنه لكى نجعل سرائيل أوربا الشرق الأوسط يجب أولا ألا نجعل هناك شيئاً اسمه القوة لعسكرية العربية ، وهذا واجب جيش الدفاع بالدرجة الأولى .

ثم هناك نقطة أخرى أرى أننا يجب أن ننفذها معاً ، هى أننى أريد أن نكوّن فرقة خاصة – لمكافحة المخربين الفلسطينيين فى أى مكان ، وإذا كان العرب لا يستطيعون دخول حرب معنا حتى عام ١٩٨٠ على

الأقل فليس معنى ذلك أن ننتظر دائماً . . حتى يستعدوا هم لذلك .
إن الوقت مناسب لردعهم إلى الأبد ، وأنا مازلت مصراً على خطتى .
ولقد وعدنى مناحم بيجين بأن يكون معى . . يجب أن أنفذ فكرتى
بإنشاء أمن جديد حول إسرائيل . . لقد سرحوا فى مصر الجنود . . لأنهم
لا يريدون ، ولا يستطيعون الحرب . أما نحن . . فهل تعتقد أننا
سنسكت ، ونظل هكذا . . لقد قررت أن أنهى كل شىء مع نهاية عام
١٩٧٣ . . لتبدأ إسرائيل الآمنة إلى الأبد ، ولتنتهى القهوة العربية إلى الأبد .

* * *

هناك أمور صغيرة . . قد تمر على الكثيرين مروراً عابراً . . دون أدنى
اهتمام بها ، ولكن هذه الأمور الصغيرة . . التى قد تكون كلمة ، أو
فكرة ، أو تصريحا ، أو حتى زيارة فى وقت غير عادى . . تعتبر أمراً بالغ
الخطورة . . عند الذين يتعاملون مع العسكرية السياسية أو السياسية
العسكرية ، وسوف أتعرض هنا لأمرين مرا على ملايين البشر مروراً
عابراً ، ولكنهما استوقفانى بإلحاح كما استوقفا غيرى من الذين يتعاملون
مع السياسة العسكرية ، أو العسكرية السياسية ، هذان الأمران هما :

١ - خرجت الصحف العربية ، والعالمية ، وعلى صدر صفحاتها
الأولى صورة الرئيس السادات ، وبعض أفراد القيادة المصرية - وهذا
أمر عادى ، ولكن الذى استوقفنى هو أن الرئيس السادات يرتدى هذه
المرة الملابس العسكرية لأول مرة بصفته قائداً أعلى للقوات المسلحة

المصرية ، وكان يتحدث مع بعض الضباط المصريين فى أحد المواقع على ضفة القناة ، وكنت فى ذلك الوقت فى اجتماع محدود . . دعت إليه السيدة شالوميت آلونى زعيمة حركة حقوق المواطن ، وكان برفقتى الجنرال ديان وإسحاق رابين ، وشمعون بيريز وشلومو هليل . .

وضعت الصحيفة الأمريكية التى نشرت صورة الرئيس السادات . . أمام الجنرال ديان ، وسألته ألا تحس شيئاً معيناً من هذه الصورة . . ؟

فأجاب بعد لحظات تدقيق : لا شىء . . لا شىء على الإطلاق . . الأمر مجرد محاولة لتهدئة ضباط الجيش المصرى . . لأنهم على وشك التمرد .

وتوجهت بنفس السؤال إلى شمعون بيريز فقال :

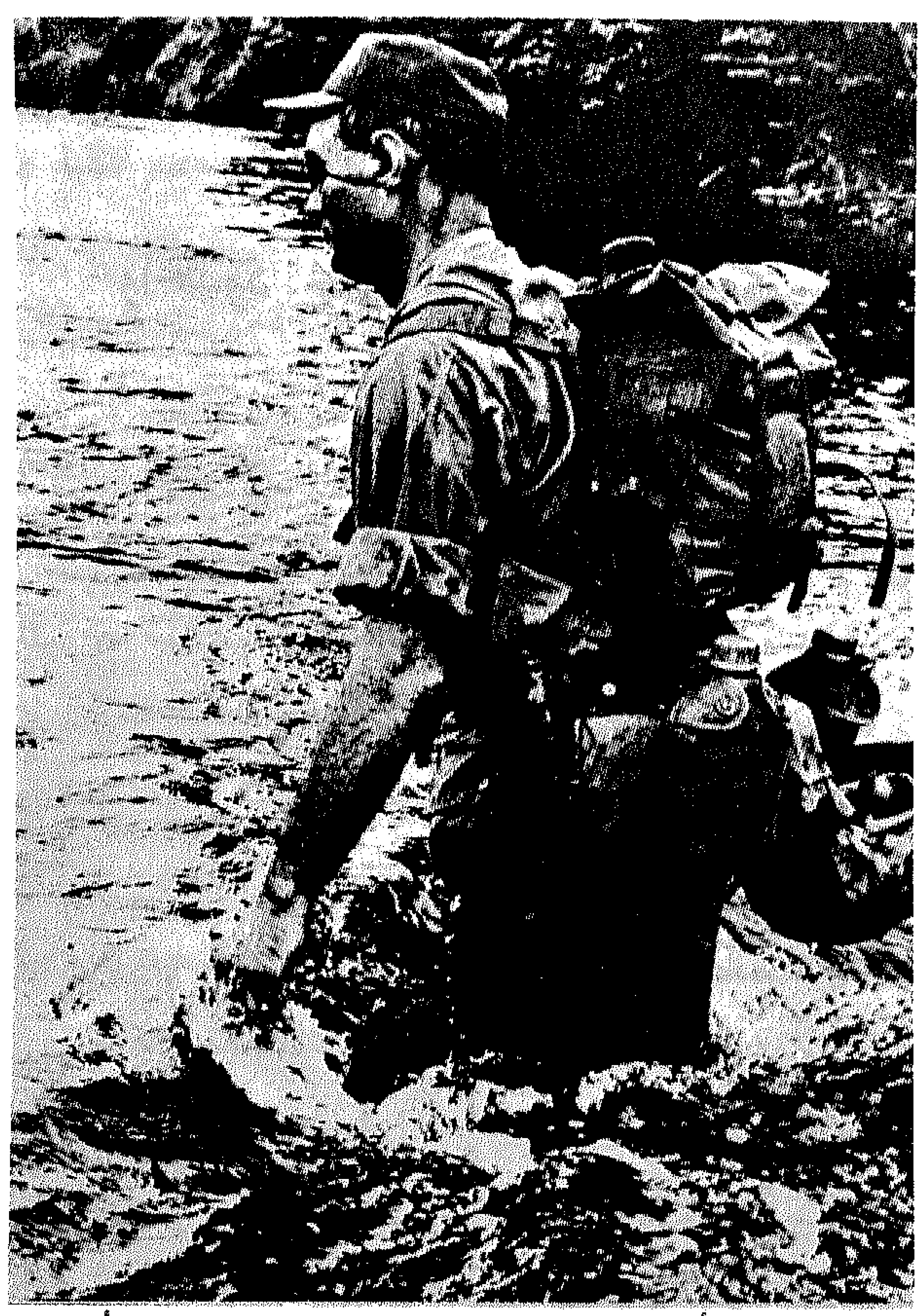
إننى أتفق مع الجنرال ديان فى رأيه . وأود أن أضيف هنا : أننى كنت أتوقع نفس الإجابة من السيد شمعون بيريز . . فهو نسخة طبق الأصل من الجنرال ديان فكراً وتكويناً ومعتقدات . . فهما كانا من كتلة رافى التى تعود البعض فى إسرائيل أن يطلق عليها كتلة « العصا الصلبة » والغريب أنهما انشغلا بعد ذلك مع الحاضرين فى أحاديث متفرقة ، ولم يسألنى أحدهما : هل لدى وجهة نظر أخرى فى ارتداء الرئيس السادات للزى العسكرى فى هذا الوقت بالذات . . ؟

ولو سألونى . . لأجبتهم على الفور . . إن هذا الرجل يريد أن يقوم

بحرب ضدنا مهما كلفته . .

أما الأمر الثانى : فهو خبر قصير نشرته الصحف . وتناقلته وكالات الأنباء عن زيارة للرئيس الأسد . . قام بها لقيادة القوات الجوية . . ولم يلتفت أحد منا أيضا إلى المغزى من وراء هذا الخبر .

لقد كنا متأكدين بأن مصر انتهت إلى الأبد ، وكانت خطتنا القادمة هى عزلها تماماً عن البلدان العربية الأخرى .



موشى ديان : مستحيل أن تقوم مصر بعمل عسكرى قبل منتصف عام ١٩٧٤ لأكثر من اعتبار

السلام بالقوة

والحدود يجب أن تكون متحركة !

وصلت إلينا برقية سرية عن طريق سفارتنا فى واشنطن . . البرقية تؤكد أن مصر عقدت النية على دخول حرب رابعة مع إسرائيل . . بالاتفاق مع سوريا ، ولم تفصح البرقية عن : كيف ستدخل مصر وسوريا الحرب الرابعة ضد إسرائيل ومتى . . ؟ !

وبالفعل عقدنا اجتماعاً عاجلاً فى رئاسة الأركان . حضره معظم الوزراء أعضاء الحكومة . وكان علينا أن نناقش بجدية أكبر مضمون هذه البرقية . وأن نعيد تقييم تقديراتنا . واستنتاجاتنا بالنسبة للموقفين المصرى والسورى . وكان علينا أن ندرس مرة أخرى هذه النقاط الهامة التالية :

١ – هل تستطيع مصر دخول حرب مع إسرائيل دون الاعتماد على الاتحاد السوفييتى . فى الوقت الذى تمر فيه العلاقة بينهما بأزمة واضحة . . والاتحاد السوفييتى هو المصدر الوحيد للتسليح المصرى . أى أنه يملك فى يده مصير مصر . ولكى لا أكون مبالغاً فى هذه الحالة

أقول : مصيرها العسكرى .

٢ - تؤكد كل المعلومات والتقارير . التى بحوزتنا أن مصر لم تستكمل بعد خطتها الهجومية . بسبب النقص الكبير فى الأسلحة . وخصوصاً فى نوعية الأسلحة الهجومية التى تحتاج إليها مصر لتنفيذ هذه الخطة . . كما تقول المعلومات والتقارير أيضاً إن القوات المصرية يلزمها فترة لا تقل عن خمس سنوات . . حتى يستوعب الجنود المصريون كيفية استعمال الأسلحة الحديثة التى لديهم . والتى تفترض أنها قد تصل إليهم من وقت أو آخر خلال هذا العام أو الأعوام التى تليه .

٣ - إن مصر فى وضع اقتصادى لا يسمح لها بدخول الحرب . وإلا تعرضت لكارثة كبرى . ولقد اتفق معنا كل الخبراء الأمريكيين فى أن الحرب قد تكون الحل الوحيد أمام القادة العرب . وخاصة قادة مصر وسوريا . للخروج من محنتهم وتمكينهم من مواجهة شعوبهم . ولكن كان رأينا جميعاً فى القيادة هنا هو أنه إذا كانت الحرب هى المخرج أو الحل الوحيد أمام قادة مصر وسوريا . خاصة بعد أن تصاعدت حملات تشهير واسعة عليهم داخل الأقطار العربية نفسها . فإن ذلك كان معناه فى تقديرنا وعلى حد تعبير شخصية سياسية إسرائيلية كبيرة . الاستعاضة عن الموت شنقاً بالموت حرقاً .

وخرجنا من هذا الاجتماع الطارئ وقد اتفقنا على أن يقوم السيد إيجال آلون نائب رئيسة الوزراء ومعه الجنرال موشى ديان وزير الدفاع

بالسفر إلى واشنطن خلال يومين على أكثر تقدير لدراسة وبحث وتفسير ما جاء فى البرقية السرية . على أن يحاط خبر سفرهما بسرية تامة . . لذلك سربنا إلى الصحف أن الجنرال ديان متوعك إثر نزلة برد . وأنه يلزم منزله الريفى بالقدس . وأن السيد إيجال آلون معتكف لدراسة الأوضاع الداخلية وإعداد بعض الدراسات والحلول لبعض الأزمات الاقتصادية . . التى تمر بالبلاد .

ولكن قبل أن ننصرف من هذا الاجتماع وصلتنا إشارة عاجلة تقول إن مجموعة من المخربين (الفدائيين) تسللت إلى ثلاث مستعمرات من مستعمراتنا فى الجليل الأعلى وقتلت عشرين مواطناً إسرائيلياً .

وبدأت العصبية تظهر على وجه الجنرال ديان . وطلب طائرة فوراً لكى تنقلنا جميعاً إلى هذه المستعمرات . . ثم قال ونحن فى الطائرة . . سوف أعود من واشنطن لأنفذ خطتى على الفور – يقصد خطة الحزام الأسود التى يحتل بموجبها أجزاء من جنوب لبنان وسوريا .

على أننى أريد أن أؤكد بصدق أن أخطر الاجتماعات التى سبقت حرب يوم الغفران – حرب أكتوبر – كان الاجتماع الذى عقد فى الكنيست فى الرابع من شهر يوليو عام ١٩٧٣ وحضره جميع أعضاء الكنيست والحكومة بالإضافة إلى المحافظين والحكام العسكريين فى المناطق المحتلة . وثلثى أعضاء هيئة رئاسة الأركان . وكانت المواضيع المدرجة فى جدول الأعمال للمناقشة . . مواضيع من الدرجة الأولى . .

أى بالغة الأهمية وأذكر منها :

١ — بحث الحشود المصرية السورية على كلتا الجبهتين المصرية والسرورية . . التى تتصاعد ثم تنخفض بالإضافة إلى حالة التعبئة القصوى التى تم اتخاذها فى البلدين .

٢ — وضع خطة عامة لمواجهة أى احتمال . . فالتحذيرات تأتينا من كل جهة . وكلها تفيد أن هناك إحساساً عامًّا بأن انفجاراً وشيكا سوف يقع فى منطقة الشرق الأوسط .

٣ — أما الموضوع الثالث الذى كنا نناقشه وكان هو أهم مافى هذا الاجتماع . فقد كان . . مناقشة مشروع لحل مشكلة الشرق الأوسط تقدم لنا به مسئول أمريكى سوف أغفل ذكر اسمه . . لأن وضعه مازال حساساً فى بلاده وخارجها ولكنى أستطيع أن ألخص المشروع فى النقاط التالية :

(ا) أن تنسحب إسرائيل من الضفة الشرقية لقناة السويس وداخل سيناء إلى مسافة قدرها ٢٥ كيلو مترا مع ضمان إدارة مشتركة للممرات تحت إشراف دولى .

(ب) أن تتخلى إسرائيل عن الخط المسمى بالخط البنفسجى وهو الذى يبلغ طوله ٤٥٠ كيلو متراً . والواقع على حدودنا مع سوريا . . كما تنسحب أيضاً من مناطق التلال حتى الرفيد بمسافة قدرها ٧٠ كيلو متراً .

مع ضمان وجودها فى مساحة المستعمرات الثمانى التى أنشئت فى هضبة الجولان . .

(جـ) أن تكون مدينة القدس مركزاً دوليًّا محايداً .

(د) إيجاد حل ما لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

(هـ) مقابل ذلك يتم التوصل إلى حالة سلام دائم فى المنطقة تمنح إسرائيل حقًّا دوليًّا وشرعيًّا فى المنطقة وفى أحقية العيش بسلام فيها .

حقًّا أقول لقد كانت جلسة عاصفة وقف فيها مناحم بيجين عضو الكنيست وزعيم كتلة ليكود وإيجال آلون وموشى ديان وأنا — وقفنا بحزم ضد هذا المشروع . . كنا ندرك جيداً أن انسحابنا من الضفة الشرقية لقناة السويس أمر مستحيل بل يشكل خطراً علينا . . لأن ذلك كان معناه أن تطول أيدى المصريين . . وأن يصبح عمقنا الاستراتيجى مهدداً بالحساب العسكرى الدقيق . . إذ تستطيع صواريخهم العابرة أن تتحرك بسهولة إلى مدى يبلغ عمقه عشرة كيلو مترات داخل سيناء . لتضرب حيفا ويافا وتل أبيب . ومعنى ذلك أيضاً أن القوات السورية ستعود للتحكم فى المرتفعات الشمالية وفى المستعمرات الموجودة بها . وتستطيع فى أى وقت وعلى أى مرمى أن تصيبنا إصابات مباشرة فى الصميم . وهذا كله يعنى أن أمننا أصبح مهدداً داخل المصيدة السورية المصرية . .

أما أشدنا هلعاً واحتجاجاً ضد هذا المشروع فقد كان الجنرال حاييم بارليف . إذ وقف يصرخ قائلا :

لقد كلفنا خط بارليف وحده خمسة بلايين دولار ووضعنا فيه خبرة ثلاثين خبيراً عسكريًّا من إسرائيل وألمانيا وأمريكا . وصنعناه ليكون حاجز أمن وخط دفاع دائماً ورادعاً لمصر . ومعنى أن نقبل هذا المشروع أن نسلم الخط للمصريين . . أن نسلم لهم خمسة بلايين دولار – أن نسلم خبرة ثلاثين خبيراً دوليًّا . . أن نسلم أمننا سهلا لأعدائنا .

ثم قال بارليف :

هل تضمنون يا سادة أو تضمن لنا أمريكا . . أن تتاح لنا فرصة أخرى مثل فرصة عام ١٩٦٧ – إذا وافقنا على هذا المشروع – لنبنى خط دفاع آخر؟ . . ولماذا نتنازل عن كل هذا ؟ . . أمن أجل اعتراف ، وسلام دائم . . ؟ إننا نستطيع ، بل استطعنا أن نفعل ذلك . . إن الوضع الحالى هو ما نريد . ومهما كانت التقارير فإن مصر لن تستطيع دخول حرب وأيضاً سوريا . . لأنها لا تستطيع أن تدخل دون مصر . . إنى أسجل عدم موافقتى على هذا المشروع ، وأعترض أعترض . . أعترض !

وفى صباح اليوم التالى عاد المسئول الأمريكى . . الذى لم أذكر اسمه إلى بلاده وهو يحمل معه رفض إسرائيل لمشروعه . ويحمل معه أيضاً وجهة نظرنا التى تعكس هذا الرفض ولكن بلطف . . أى بالتعبير الذى يستخدمه الديبلوماسيون والذى يقول : اعرف اتجاهك وتحرك إليه .

ودع الآخرين يتحركون في أي اتجاه يريدون دون أن تظهر أنك تعارضهم . .

لقد كانت وجهة نظرنا تتلخص في التالى :

إن قيمة الأرض التى نحتلها هى أننا نستخدمها كضغط على العرب ليقبلوا الجلوس معنا دون قيد أو شرط على مائدة مفاوضات مباشرة فى الوقت الذى يشعرون فيه بالضغط . وأن أى انسحاب من جانبنا سيمنحهم بعض القوة . . بل سيجعلهم يتجرءون على خوض غمار حرب رابعة ضدنا . وكان رد المسئول الأمريكى : أعتقد أنكم تطلبون المستحيل ، وأننا قدمنا لكم هذا المشروع لكى نجنب المنطقة خطر إنفجار آخر . . لابد أنه واقع . .

أعود إلى تلك الجلسة العاصفة . حيث عدنا نناقش بقية المواضيع المدرجة فى جدول الأعمال . فاتفقنا على التعاقد مع مائة طيار ممن هم من أصل يهودى . ولكنهم يقيمون فى أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية . . لكى يأتوا إلى إسرائيل ويتلقوا تدريبات على طائراتنا ويكونوا جاهزين . . حينما نستدعيهم ، وكلف الجنرال ديان وزير الدفاع الكولونيل إبراهام دين للقيام بهذه المهمة وتشكيل اللجنة الخاصة بتنفيذ ذلك . .

ثم بدأ بعد ذلك الجنرال ديان يقرأ علينا التقرير الذى أعددناه أنا وهو ولجنة من الخبراء العسكريين الإسرائيليين والذى كنا نجيب فيه على

السؤال الذى أثير فى الأذهان . . عقب وصول البرقية السرية من واشنطن والتى أكدت أن مصر وسوريا عقدتا النية على دخول حرب .
وكان السؤال هو كيف ؟ ومتى . . ؟

قال ديان :

إذا كانت مصر ستنوى القيام بعمل عسكرى ضد إسرائيل فلن يكون ذلك قبل الفترة من ربيع عام ١٩٧٤ إلى خريف ١٩٧٥ . وإنه من المستحيل قيام مصر على الخصوص بأى عمل عسكرى قبل منتصف عام ١٩٧٤ وذلك للاعتبارات التالية :

١ – أن مصر مازالت تركز على الخطة الدفاعية ، ويلزمها عام على الأقل لوضع خطتها الهجومية .

٢ – مازالت الأسلحة الهجومية – التى طلبتها مصر . . لم تصلها إلى الآن . ومن المعروف أن أية أسلحة لا يمكن أن تكون صالحة لاستعمال الجنود . . دون مرور ستة أشهر على الأقل حتى يستوعبوها ويمكنهم التعامل معها وبها .

٣ – أن الحالة الاقتصادية فى مصر تحتاج لتخزين احتياطى اقتصادى أو ما نطلق عليه نحن المشتغلين بالعسكرية السياسية – اقتصاد حرب – إلى نفس المدة الزمنية – أى ستة أشهر على الأقل .

٤ – أن الرئيس السادات سيحتاج لزمن طويل . . حتى يقنع رئيس سوريا بدخول مغامرة عمل عسكرى ضدنا . ونعتقد أنه لن ينجح فى

هذا . . وفى النهاية سوف تقوم مصر بهذا العمل العسكرى وحدها . ولذا فإن نتيجة هذه المغامرة العسكرية تكون قد تحددت من الآن . .

ثم تساءل فى هذا الاجتماع أيضاً الصحفى «إيلى أيال» المحلل السياسى لجريدة معاريف المسائية وأحد أعضاء كتلة ليكود المعارضة عن كيفية دخول مصر الحرب وهل خطوطنا الدفاعية تمنع وقوع هذه الحرب حتى لو حاولت مصر ذلك بعملية انتحارية يائسة . . ؟

فأجابه ديان ساخراً :

لا تنس أنه يلزم مصر لكى تحقق عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف . . يلزمها سلاحا المهندسين الروس والأمريكى معاً . وكان الجنرال بارليف يؤيده بإيماءة قوية من رأسه وكأنه يريد أن يقول لإيلى أيال : لا تنس قوة ومتانة الحصون الموجودة فى خط بارليف . . على أنى أود أن أذكر هنا قبل أن أستطرد . . إننى كنت بجوار الجنرال بارليف حين عبر المصريون القناة . . واقتحموا خطه ، وجاءتنا أول إشارة بذلك ، أذكر ساعتها أننى نظرت إلى وجهه . كان وجه بارليف تماماً مثل وجه مهرج فى السيرك سقط القناع المضحك الذى يلبسه فبدا أمام الجمهور مجرداً لا شىء فيه سوى معناه ، أو كممثلة تساقطت ملابسها وهى على خشبة المسرح فبدت أمام جمهورها وهى عارية ووجهها يملؤه الخجل والعار . . ثم صرخ بارليف فى الأجهزة التى أمامه : أعيدوا الإشارة . . أعيدوا الإشارة . . !

وبعد ساعتين وصلتنا إشارة جديدة . . تفيد أن المصريين قد احتلوا أهم ثلاثة مواقع على خط بارليف . وهى مواقع بن جوريون . . والتلمود . . والصخرة ووقتها لم أجد بارليف بجوارى ، ولا أدرى حتى الآن أين اختفى بارليف لمدة أربع ساعات ، إذ مازالت تلك النقطة إلى الآن لا تجد لجنة التحقيق «أجرانات» التى تشكلت بعد انتهاء الحرب إجابة مقنعة لها . .

وأخيراً اتفقنا فى هذه الجلسة على أن يحمل إيجال آلون وزير الخارجية معه إلى واشنطن . التى كان سيسافر إليها قريباً قائمة جديدة بالأسلحة التى تريدها إسرائيل ، ووضعنا على رأس هذه القائمة طائرات «اف ١٥» المتطورة الجديدة والتى صنعتها الولايات المتحدة الأمريكية لتواجه طائرات الميج ٢٥ الروسية . كنا نصر بإلحاح على الحصول على هذه الطائرة بالإضافة إلى صواريخ أرض أرض بعيدة المدى . . ذات الرءوس المتعددة وأمريكا لم تستعملها إلا مرتين فقط فى فيتنام . . ثم أقلعت عن استعمالها . . بعد أن حرمتها لجان دولية كثيرة . أما خطة التعبئة فقد تم تكليفنا . أنا والجنرال ديان بتجهيزها . وفعلاً تم ذلك ، وكانت عبارة عن أربعة نداءات توجه عبر الإذاعة والتليفزيون ومكبرات الصوت ، ويمكنها أن تجمع فى ساعات معدودة . . أكثر من عشرين ألف جندى من الاحتياط .

* * *

قليلون من السياسيين الدوليين أولئك الذين يعرفون أن وزير الخارجية إيجال آلون يتفق كثيراً مع د . هنرى كيسنجر – وزير خارجية أمريكا فى معظم أفكاره وآرائه . . فإيجال آلون تلميذ سابق للدكتور هنرى كيسنجر حين كان أستاذاً للسياسة الدولية فى جامعة هارفارد بأمريكا . . لذلك كنا دائما نطلب من إيجال آلون فى أية محادثات يجريها مع أستاذه السابق د .كيسنجر أن يفرق بين رأيه الخاص ، ورأى كيسنجر ، وكان يجد صعوبة فى ذلك لأنه على ما يبدو . . كان مبهوراً بأستاذه .

ولما عاد آلون من زيارته لواشنطن . . التى استغرقت أسبوعاً كاملاً قابل خلاله د . . هنرى كيسنجر ، كما اجتمع لمدة ساعتين مع الرئيس نيكسون . . أقول . . بعد عودته قدم تقريراً مفصلاً عن هذين الاجتماعين وما دار فيهما من نقاش .

قال كيسنجر لآلون :

إن الوضع فى منطقة الشرق الأوسط مترد للغاية ، بل وصل إلى درجة الخطورة ، وأنه حتى الرأى العام الأمريكى . . لم يعد متقبلاً لموقف إسرائيل المتصلب . . وإن عليكم أن تكونوا أكثر مرونة ، لأن العرب لن يتحملوا أكثر من ذلك ، وإن أى عمل عسكرى يقوم به العرب سيجد تعاطفاً من الرأى العام العالمى أكثر من ذى قبل . وكان هنرى كيسنجر يستعمل جملة دائماً يرددها هى : إن اليد التى تظنها ضعيفة . . تصيبك بالعمى إذا وصلت إلى عينيك . . وفهم آلون أن أستاذه يريد

حلا للمشكلة دون حرب أخرى .

أما عن اجتماع الرئيس الأمريكى نيكسون مع آلون . . فقد علت الدهشة وجه الرئيس نيكسون حين رأى القائمة الجديدة . . التى تقدمنا بها مطالبين بمزيد من الأسلحة الحديثة . . وعلق على ذلك بقوله : إنكم تخزنون الأسلحة . . كما لو كنتم قد عقدتم النية على محاربة أمريكا نفسها . . إن الأسلحة التى لديكم تساوى أربعة أضعاف ما لدى العرب مجتمعين ، ومع ذلك أراكم دائمى الخوف ، وبالتالى أنتم دائمو المطالبة بالسلاح . ولكن الرئيس نيكسون وافق فى النهاية على القائمة ، إلا أنه أرجأ الطلب الخاص بطائرات «ف ١٥» إلى وقت آخر ، وكان رأيه أن نحاول إيجاد حل بالوسائل السلمية .

وبالطبع لم يقنع هذا الكلام الجنرال ديان . . فقد علق على قول كيسنجر لتلميذه آلون بأن السياسيين يرون دائماً الأشياء من فوق . . أما العسكريون فيرونها من أسفل ، من القدم حتى الرأس ، أى بمنتهى الدقة . والجدير بالذكر هنا وما أود أن أقرره أن الجنرال ديان لم يكن يرتاح دائماً لآراء وأفكار هنرى كيسنجر ، وكان يقول عنه لأصدقائه وأنا واحد منهم :

إن كيسنجر يود من كل قلبه أن يكتبوا اسمه على كل شارع . . فهو مغرم بأن يكون رجل كل عام ، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت رجل كل ساعة . . حتى لو كان ذلك على حسابنا .

وبعد شهر واحد من زيارة آلون لواشنطن وصلتنا أول شحنة من الأسلحة التى طلبناها . . فى القائمة . . التى حملها معه إيجال آلون إلى واشنطن وكانت هذه الشحنة عبارة عن :

١ - ٦٠ دبابة من طراز إم ٦٠ .

٢ - ٤٠ طائرة فانتوم و ٢٠ طائرة هليكوبتر. وثمانى طائرات ناقلات جنود وذخيرة وأسلحة .

٣ - عشر وحدات صاروخية أرض - جو .

ولم يصلنا أى شىء من طلبية الطائرات «أف ١٥» الحديثة .

وفى نفس الأسبوع تقريباً وصلتنا شحنة أخرى من ٧٥ دبابة ألمانية غربية من طراز ليونارد - وأصبح مجموع ماوصلنا من أسلحة خلال هذه الأشهر الستة ما يعادل ١٦٠ دبابة أمريكية . و١٢٥ دبابة ألمانية و ١٩٠ طائرة فانتوم . وسكاى هوك . و ٤٠ طائرة هليكوبتر وتسع عشرة طائرة نقل . و٢٣ وحدة صاروخية أرض جو . وسبع شبكات توجيه جوى من طراز هونر الإليكترونية وبهذا نكون قد امتلكنا بالفعل ٤ أضعاف ما يملكه العرب من الأسلحة فضلا عن النوعية . .

وفى يوم ٢٨ أغسطس عام ١٩٧٣ أقمت حفل عشاء تكريماً للسيد ناجوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى . . الذى وصل إلى إسرائيل بعد زيارة له لألمانيا الغربية . ومقابلته للمستشار الألمانى «فيلى برانت» .

وبرغم اختلاف معظمنا مع جولدمان فى الكثير من وجهات

النظر . . فإننا نسميه الأب الرابع لإسرائيل . وكنت أعلم أن ناحوم جولدمان يعد كتاباً جديداً عن مستقبل دولة إسرائيل ، يحاول أن يصل فيه إلى ما سيكون عليه مصير الدولة . وكان معنا فى تلك الليلة أيضاً «إيلى آيال» المعلق السياسى لصحيفة معاريف . وأحد أعضاء كتلة ليكود المعارضة فى ذلك الوقت .

كان جولدمان غير متفائل لمستقبلنا مع العرب . لو استمر الوضع هكذا . وكان يريد قبل أن ينتهى من هذا الكتاب أن يكون وثيقة لمحمل وجهات نظر كل المسئولين فى إسرائيل سواء كانوا عسكريين أو سياسيين . وفاجأنى السيد ناحوم جولدمان بالسؤال التالى :

أيهما يشكل فائدة أكثر لإسرائيل ويجعلها أكثر قوة . . الأراضى التى تحتلها . . أو التسويات السياسية . . ؟ امتيازات استراتيجية أصلها جغرافى أم أخرى يكون مصدرها أفضليات اقتصادية وثقافية . . ؟

وقبل أن أجيب حضر الجنرال ديان . واعتذر عن تأخره لأسباب خاصة . . وطلبت من جولدمان إعادة السؤال مرة أخرى فى حضور الجنرال ديان . .

وأعاد جولدمان السؤال . . وهز الجنرال ديان ساقيه . وهو يغوص فى المقعد . . ثم قال :

إن السلام الذى تريد إسرائيل . . قد تحقق منذ عام ١٩٦٧ . إذ إنه منذ ذلك الحين وظروف السلام تسود الأراضى المحتلة . وإسرائيل . .

نحن نسعى لخلق سلام بيننا وبين العرب بطريقة غير رسمية ولسنا بحاجة إلى السلام الرسمى وربما كان السعى وراء هذا السلام الرسمى. يضر بالحالة التى نحرص عليها وهى تثبيت الأمر الواقع الذى فرضته حرب عام ١٩٦٧ تثبيتاً يدخل فى صيغة سلام غير رسمى ، وقال جولدمان مكرراً سؤاله :

إن سؤالى محدد . . أرجو أن تكون الإجابة عليه محددة . . وهو :

هل تعتقدون أن قوة إسرائيل فى الأراضى أو فى التسويات . . ؟

فأجاب ديان :

إنى لاأرضى إلا بسلام القوة . . الذى يحقق لإسرائيل الحدود الآمنة ، وبالطبع لن يستطيع أحدنا أن يحدد مساحة هذه الحدود . . إنما تتغير تلقائيًّا نظراً لطبيعة نمو وتوسع إسرائيل . وإذا كنا نسعى لأن نكون نحن بديل القوى الكبرى فى الشرق الأوسط ، فيجب أن تكون لنا أنيابنا . وهذه الأنياب عسكرية واقتصادية . وجغرافية . والناب الأول . . أى الناب العسكرى . . يحقق الانياب الأخرى . .

أما جولدمان فقد رأى أن سلام القوة لا يمكن أن يخلق الجو الذى يساعد الشعب الإسرائيلى على الذوبان والتأقلم داخل المجتمعات العربية المكونة لخريطة المنطقة . وقال جولدمان : إن السلام الاقتصادى أكثر ضماناً لبقاء إسرائيل . وكان يقصد بقوله : السلام الاقتصادى : إنهاء حالات العداء والحصار . والمقاطعة العربية . وفى نفس الوقت المحافظة



اليعازار : نفرق فى المعاملة بين اليهود الشرقيين ، واليهود من أصل غربى

على الطابع اليهودى والسماح بالهجرة لإسرائيل . . وإننى أعتقد أن جولدمان كان متفائلا أكثر من اللازم حين قال لديان : عش . ودع غيرك يعيش .

وهنا تدخل «إيلى أيال» كبير كتاب صحيفة معاريف وعضو كتلة ليكود فقال بحدة : إن هذه المبادئ ربما تصلح لكل شعوب الأرض . ولكنها لا تصلح لإسرائيل . . إن لإسرائيل هدفاً استراتيجياً لا يمكن تحقيقه على هذه الرقعة من الأرض ، ويمكننا أن نتخيل بسهولة صورة الحرب لو بدأت المواجهة العسكرية من نقطة ما قبل عام ١٩٦٧ ففى ذلك كارثة كبرى . . إن المزيد من الأرض يعنى المزيد من القوة . ويعنى المزيد من السلام . وهكذا انتهت حفلة العشاء التى أقمتها فى بيتى تكريماً للسيد ناحوم جولدمان دون أن يخرج منا جميعاً بإجابة مقنعة من وجهة نظره .

حادثة غريبة

وقعت حادثة غريبة دعت رئاسة الأركان إلى الاجتماع العاجل . فقد . فوجئنا فى أحد أيام شهر سبتمبر من عام ١٩٧٣ بإشارة تقول : إن قتالا قد نشب بين مجموعتين من جنودنا على السفوح الشمالية لجبل الشيخ . . وبعد التحقيق اكتشفنا إن إحدى المجموعتين تمثل جنودا من اليهود الشرقيين . والأخرى تمثل جنودا من اليهود الغربيين . . وكانت النتيجة مقتل أربعة من جنودنا وجرح ثمانية – وذهبت أنا على الفور إلى مكان الحادث ، وكنت قبلها قد تلقيت تقريراً حول تدعيم مكثف ومركز للقوات السورية على طول خط المواجهة . وإن عمليات المناورات والتدريبات تسير بشكل عادى هذه الأيام .

المهم أن العلاقة بين اليهود الشرقيين والغربيين عندنا فى إسرائيل علاقة متوترة للغاية . . فإن اليهودى الغربى يعتبر نفسه صانع الحضارة بالفكر والابتكار . . وفى نفس الوقت ينظر إلى اليهودى الشرقى باعتباره

الأداة . . التي يحقق بها مخترعاته وأفكاره . . لذلك فالتصنيف بين يهودى شرقى ويهودى غربى إن لم يكن رسميا . . فإنه موجود وقائم . وهو أن يهود الغرب يهود من الدرجة الأولى . ويهود الشرق يهود من الدرجة الثانية ولا يوجد يهود من أصل شرقى فى مركز قيادى باستثناء القلة . . التى وضعتها الظروف الأولى لنشأة إسرائيل . .

واعتبرت القيادة أن ما حدث ظاهرة خطيرة . . خصوصا أنها تعدت حالة السلبية إلى حالة استعمال القوة . .

لكن الأمر الذى أقلق القيادة . وجعلها فى حالة طوارئ يومين كاملين . . هو اختفاء مجموعة من الجنود الشرقيين . وعلمت بعد ذلك أن عددهم كان سبعة . وانقسمت التخمينات فيما بعد إلى أقسام . وذهبت مذاهب بعيدة . . منها ما يقول بأنهم هربوا إلى سوريا . ومنها ما يقول بأن مجموعة من الكوماندوز السوريين قد اختطفتهم . ومنها ما يقول بأن الجنود الغربيين قد قتلوهم ودفنوهم خوفاً من المحاكمة ولكن حتى الآن مصيرهم مجهول .

وفى نفس اليوم توجهت إلى قيادة المنطقة الشمالية بصحبة الجنرال ديان فى جولة استطلاعية لمشاهدة الحشود السورية . . التى بدت واضحة .

وكان ظاهراً أن سوريا تسعى لاستفزازنا . وكان ديان سعيداً بذلك . فمازال يحلم بفرصة يحقق فيها هدفه – الحزام الأسود – وقال علينا أن نبدأ



[illegible] في أماكن [illegible] مقاومة أكثر في يوم الثامن من أكتوبر

نحن بتأديب السوريين حتى لا يعودوا ثانية لاستعراض قواتهم أمامنا . إننا الأقوى فى هذه المنطقة . ويجب أن يعلم العرب جميعا ذلك . . وقبل أن ينطق ديان الحرف الأخير من كلامه . . انطلقت القذائف السورية على الموقع الذى كنا موجودين فيه . ولأول مرة أكشف سرًّا . . فقد أصيب ديان فى ذراعه إصابة بالغة . وبدأ اشتباك استمر أربع ساعات . كانت النيران السورية فيه كثيفة ومركزة . ولم نستطع الخروج من الموقع إلا بعد انتهاء الاشتباك . . وعدنا بديان إلى مقر القيادة . وكان علينا أن نبقى خبر إصابته سرًّا . . حتى عن جنودنا . . فنقلناه فورا إلى منزله لكن لاحظت فى هذا الاشتباك شيئاً جديداً . . أود أن أذكره هنا ، وهو أن الطريقة التى فتح بها السوريون نيرانهم علينا . . كانت مختلفة تماماً . . فقد شممت فيها رائحة جديدة . . تشير إلى أن شيئاً ما سيقع . .

وبالفعل جاءنا تقرير غير مؤكد يقول إن الرئيس السورى وصل إلى القاهرة واجتمع سرًّا بالرئيس السادات . . وإن الأمر غاية فى الأهمية . ويحتمل أن يكون وراء ذلك عمل عسكرى .

لكن الخبر لم تؤكده وسائل مخابراتنا . ولم يجد لدينا تحليلا مناسبا . . فالرئيس السادات كان فى الإسكندرية والرئيس الأسد كان فى بلودان . . هكذا قالت تقارير مخابراتنا فى ذلك الوقت .

وكانت الساعة ١٤٢٠

أصبحت كل الشواهد تدل على أن هناك نية مؤكدة لدى مصر. وسوريا . . للقيام بعمل عسكرى ما . . ضد إسرائيل ، وقد أكدت هذه الشواهد الأحداث التالية :

١ – انتهاك سوريا لوقف إطلاق النار . . واستفزازها لقواتنا المواجهة لها ٧ مرات منذ ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ وحتى أول أكتوبر من نفس العام . . كذلك فإن مصر قامت بانتهاك وقف إطلاق النار فى نفس الفترة أربع مرات .

٢ – وصول حالة الاستعداد وحالة التعبئة القصوى فى البلدين إلى أعلى مدى لها يمكن أن يكون .

٣ – الإيحاء المتزايد عبر الصحف المصرية والسورية بأن إسرائيل تحشد قواتها على الحدود ، وأنها تنوى القيام بعمل عسكرى جديد ضد مصر وسوريا . .

وبناء على هذه الشواهد قمنا باتصال سريع مع الولايات المتحدة الأمريكية للاستيضاح ، وكان الرد بأن النية مؤكدة فعلاً لدى مصر ، وسوريا . . للقيام بعمل عسكرى ضد إسرائيل ولكن نوعية هذا العمل ، وكيفيته غير واضحة المعالم . . كما أن وقته مازال بعيداً ، وإن حدث فالاعتقاد المؤكد . . أنه لن يكون ذا فعالية تذكر .

وفى اجتماعنا الدورى فى أول أكتوبر عام ١٩٧٣ : قدم الياهوزاعيرا . . رئيس فرع المخابرات تقريراً مفصلاً عن الأوضاع على الجبهتين المصرية والسورية . . بناء على طلبنا وأكد التقرير الذى قدمه زعيرا حالة الشد المكثف على الجبهتين . ولكنه قال : إن هذه الظاهرة حدثت أيضاً فى شهر يونيو ، ولم يحدث أى شيء بعدها ، ولم تقم مصر أوسوريا بأى عمل وقتها ، وأكمل زاعيرا تحليله قائلاً :

ولكن الاحتمال قائم : أن تقوم مصر ، وسوريا بعمل عسكرى ما . ولكنه سيكون أحد المسكنات للأوضاع السياسية وخصوصاً الداخلية منها والمتردية جدًّا فى البلدين ، أو سيكون مجرد عملية استعراضية للاستهلاك الشعبى . . وخصوصاً أن عيد المسلمين فى نهاية الشهر ، وختمنا اجتماعنا بالتأكيد على أن تكون درجة الاستعداد ٧٠ ٪ وقال الجنرال ديان فى نهاية الاجتماع : بعد عيدى الغفران والمظال سوف أقوم بتأديب المصريين ، والسوريين ؛ وسيكون الدرس الذى سأعطيه لهم قاسياً . وفيه أعلمهم كيف يتجرءون على القيام بهذا العمل ، وكان ديان مازال

متحمساً للقيام بضربته الوقائية ليحقق من خلالها حزامه الأسود . . الذى يكفل له الأمن الأبدى المطلق لإسرائيل ، ويحتل المزيد من الأراضى اللبنانية أو السورية ، ولست أدرى لماذا اختارنى الياهو زعيرا رئيس المخابرات وانتحى بى جانباً فى استراحة رئاسة الأركان وقال لى :

لقد بلغ مجموع الجنود المصريين المسرحين حتى أمس ٦٠ ألف جندى . . هذا ما تقوله التصريحات المصرية ، وما تقوله تقاريرنا . ومرة أخرى وقفت أمام تناقض جديد . . فكيف يستقيم عمل عسكرى من حجم كهذا من التصريحات والتسريحات ، وكيف يقومون بعمل عسكرى . وقد سمحوا لبعض العائلات المصرية . . من التى كانت بمنطقة القناة . . بالعودة مؤقتاً إلى مدنهم خلال شهر رمضان . . لقد وقعنا فى مصيدة خطة خداعية ذكية . . مصرية ، ونحن بمنتهى السعادة . . ابتلعنا الطعم الأول فى خطة الخداع . وبقدر ذكاء خطة الخداع . هذه كان القصور فى جهاز مخابراتنا . وفى صباح الخامس من أكتوبر عقد اجتماع طارئ لمجلس رئاسة الأركان وكان التوتر على الجبهتين المصرية والسورية . . عبر كل الصحف والتعليقات قد وصلت إلى مرحلة خطيرة من اتهاماتها لإسرائيل . . بأنها تنوى شن عدوان جديد على العرب . .

وقد قالت السيدة مائير : لقد آن الأوان لكى نؤدب العرب ، وكانت توجه كلامها لديان ، وكانت هذه العبارة . . تعنى الموافقة ضمناً

على أن يقوم ديان بتنفيذ خطته بشن حرب وقائية سريعة ، وخاطفة يصنع بها حزامه الأسود .

وعلى الفور أخرج الجنرال ديان الخرائط . . التى توضح خطته ، وتوقيتها ، والهدف المحدد منها ووضع الخرائط أمامنا ، وبدا يشرح خطته باختصار وكانت كما يلى :

١ – أن يقوم سلاح الجو الإسرائيلى بضربة قوية للجنوب اللبنانى تتلوها عملية إنزال مظلى للمنطقة . . تسانده الدبابات والمدرعات والسلاح البحرى من الساحل الشمالى المواجه لمدينة صيدا .

٢ – وفى نفس الوقت توجه ضربة أخرى للمواقع السورية الواقعة على الخط البنفسجى وتتحرك الدبابات والمدرعات لتحتل المنطقة . . حتى جنوب دمشق بـ ٣٥ كيلو متراً مع توجيه ضربة للسلاح الجوى السورى النشط فى ثلاثة من أكبر مطاراته .

٣ – وقبل أن تحاول مصر التدخل . . يتحول الثقل كله . . .بعد تأدية مهمته فى الجنوب اللبنانى وسوريا إلى ضرب مواقع صواريخ سام – ٦ – على خط المواجهة فى منطقة القناة ، وتوجيه ضربة سريعة للمطارات الحربية تجعل رد الفعل لها مستحيلاً إن لم يكن معدوماً . . على أن تتحرك بعد ذلك ٤ ألوية من المدرعات وثلاث فرق من المشاة والميكانيكية لمساعدة السلاح الجوى أمام أى احتمال طارئ ، وكان رأى ديان بأن حملة التصعيد . . التى تمارسها مصر ، وسوريا وعمليات

الانتهاك المستمر لقرار وقف إطلاق النار . . ستكون هى ذريعتنا لتنفيذ هذه الخطة .

٤ – أن تتم هذه العملية خلال ٢٤ ساعة فقط . . حتى يمكن تلافى أى رد فعل دولى وبأقصى درجة من السرعة والمفاجأة .

٥ – أن تتم هذه العملية فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ أكتوبر عام ١٩٧٣ . . بعد الانتهاء من عيدي الغفران ، والمظال ، وقبل انتخابات الكنيست فى الثامن والعشرين من أكتوبر وأثناء شرح ديان لخطته الوقائية . . وصلت إشارة عاجلة تقول :

إن وزارة الطيران المدنى المصرية . . قد أصدرت أمراً بتعطيل الملاحة فى المطارات المصرية ، ثم جاءتنا مفاجأة أخرى يحملها بلاغ آخر يقول إن ٣٢٠ عائلة أجنبية قد تم ترحيلها هذا اليوم من مصر وسوريا وأن التعليمات قد صدرت إلى قوات الدفاع المدنى فى مصر وسوريا بأن تكون فى مواقعها على أعلى درجة من الاستعداد . وكان بعد كل ذلك اتصال عاجل من السفير الأمريكى يطلب مقابلة رئيسة الوزراء . . وقد أخبرنا أن شيئاً ما سيحدث خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة وأن العرب متخوفون من قيام إسرائيل بعمل عسكرى جديد ضدهم . .

وأن الولايات المتحدة لا تريد انفجاراً فى الوقت الحالى فى المنطقة . . وعادت مائير إلينا وكان الاجتماع مازال مستمرًا .

وعدنا نقيم الأمور مرة أخرى على ضوء المعلومات الأخيرة . . .

وسألت مائير ديان ما رأيه ؟ فصمت قليلاً ثم قال إذن سأجعل ضربتى متقدمة كثيراً ، ستكون صباح الثامن من أكتوبر ، فغداً عيد الغفران والإجازات بين الجنود والضباط بنسبة ٥٥ ٪ وأعتقد أن قيام العرب ، بعمل عسكرى فى شهر رمضان أمر مستبعد ، فمعظم الجنود صائمون والعرب عاطفيون فى استقبال مناسباتهم الدينية ويحبون الاستمتاع بها بسلام ، وجاء التقرير الأخير الذى طلباه عن الحالة على الجبهة المصرية ، وكان يقول إن الحالة عادية جدًّا ، والجنود المصريون مستلقون فى استرخاء ويسبحون فى القناة ولا شيء يدل على حدوث حركة جديدة بعد أربع ساعات من إعلان وزارة الطيران المدنى المصرية قرارها بوقف الملاحة الجوية فى المطارات المصرية إلى أجل غير مسمى ، ثم عادت الإذاعة المصرية لتلغى هذا القرار وتؤكد على استئناف الملاحة وأنه تم إصلاح العوائق .

إذن ماذا تريد مصر بالضبط ؟ وماذا تفعل أو تنوى أن تفعل ؟ ليس هناك تفسير لما حدث ويحدث سوى نوع من التخبط فى القيادة المصرية . .

واتفقنا على استدعاء السفير الأمريكى فى إسرائيل لنبلغه رسالة عاجلة إلى واشنطون ، وكانت الرسالة تقول :

إن على الولايات المتحدة بطرقها الخاصة أن تبلغ العرب بأن إسرائيل لا تنوى فى الوقت الحاضر القيام بأى عمل عسكرى ضدهم مراعاة

لظروف واعتبارات كثيرة ولا داعى للحشود وحالة التوتر التى يضعها العرب بلا مبرر حتى لا تنقلب ضدهم . . وبالفعل اتصل السيد إيبان بالسيد هنرى كيسنجر تليفونيا وأبلغه نص الرسالة ووعد السيد كيسنجر بإبلاغدها للعرب فى نفس الليلة ، ليلة السادس من أكتوبر ، وعلق إيبان على ذلك قائلا إن هذه الرسالة طعم له هدفان :

الأول : إظهار حسن النية وإدانة العرب .

ثانيا : طمأنة المصريين والسوريين إلى أن يحين صباح الثامن من أكتوبر وهو الموعد الذى حدده ديان ليقوم بضربته الوقائية الجديدة ضد العرب.

ولكن حين انفردت بالجنرال ديان فى نفس الليلة بحضور إلياهو زاعير مدير المخابرات وكان يستعد لإقامة حفله السنوى لأعضاء القيادة صباح السادس من أكتوبر وهو عيد الغفران . . حين انفردت به قلت له هناك أمران لا أستطيع أن أتجاهلهما بسهولة : الأول : ترحيل الرعايا الأجانب من مصر وسوريا . والثانى قصد إغلاق الملاحة المصرية ثم استئناف عودتها ، إن الأمرين مقلقان جدًا ، وأجاب ديان لا عليك يا دادو إن العرب مشهورون بالتهويل والاستعراض ولعلك تذكر قصص الشاطر حسن والسندباد ، إن ما يحدث قصة سوف أنهى فصولها صباح الثامن من أكتوبر.

وبعد أن وصلت إلى منزلى فى هذه الليلة استدعتنى السيدة مائير لمنزلها على عجل وأعادت معى تقييم الأمور ، وتسلسل الأحداث . . فأخبرتها

بكل ما يراودنى من وجهات نظر وأفكار ، وتخوفات . وفى هذه الليلة قالت لى جولدا مائير : لقد أعطيت الأوامر صريحة للجنرال ديان . . أعطيته الأوامر بأن يتحرك قريباً وينفذ خطته الوقائية . . برغم أن ذلك سيفتح علينا باباً جديداً من المشاكل وسيؤدى إلى زيادة السخط العالمى على دولة إسرائيل . . وأنا الآن خالية المسئولية من حدوث أية تطورات . . ثم ختمت حديثها بهذا السؤال :

هل تعتقد أن فى إمكان المصريين عبور القناة . . ؟ إن هذا هو الأمر الهام فى أية أحداث يمكن أن تقع . . إننى أسالك بصفتك رجلاً عسكرياً ، وخصوصاً أريد أن أتأكد منك بالذات بعد أن أكد لى الجنرال بارليف منذ دقائق أن عبور المصريين لقناة السويس أمر مستحيل . . فإنه أعد قنوات بترولية تعمل فى دقائق وبإمكانها أن تحول كل شبر من خط المواجهة فى منطقة القناة إلى كتلة حريق قاتلة . . !

وقبل أن أجيبها توارد إلى خاطرى سؤال وهو : لماذا سألتنى أنا بالذات أو أنا والجنرال بارليف . . ؟ لماذا لم تستدعى الجنرال ديان بصفته وزيرا للدفاع وتسأليه . . ثم قلت لها : إن المعروف دولياً أن أصعب العوائق المائية فى التاريخ اثنان لا ثالث لها ، وهما قناة السويس وقناة بنما ، وذلك لطبيعة المياه والعمق والعرض . وإذا أضفنا إلى ذلك كله الموانع الحصينة مثل خط بارليف ، ومواقع الإشعال البترولى . . ثم سمك الساتر الترابى . . فإن ذلك كله ، ودون أى تفكير كاف على دلالة

استحالة عبور المصريين لقناة السويس وأنا أتفق مع الجنرال ديان على أن أى تحرك عسكرى مصرى لن يكون ، أو لن يخرج عن نطاق ضربة جوية لطاراتنا فى الجبهة ومراكز الاتصال والإمداد ، والقيادة ، ومن الممكن أن تحدث عمليات إنزال انتحارية خلف خطوطنا ، وهذا أمر نتدبره جيداً ، ونحسب حسابه الدقيق .

ثم إن المعروف عن المصريين والسوريين بأنهم متدينون بطبيعتهم فكيف يقاتلون فى شهر رمضان وهم صائمون . . ثم إن تقاريرنا تشير إلى أن الحالة هادئة جدًّا على ضفتى القناة .

* * *

سبق أن ذكرت أن الجنرال ديان قال فى اجتماع أمام الكنيست إن لديه خطة لاستدعاء الاحتياطى ، واستلامه مواقعه خلال ست ساعات ، وكانت هناك عبارة قد اتفقنا عليها ، وتذاع بواسطة الراديو . . أثناء نشرات الأخبار . . التى تتوحد فى وقتها كل شبكات الإذاعة الإسرائيلية ، وتذاع كل ساعة ، ويحرص الشعب الإسرائيلى على سماعها . . هذه العبارة تكون إنذاراً عاجلاً لكل قوات الاحتياط للتجمع فوراً فى مراكزها هذه العبارة هى :

«على كل متعهدى الألبان المستوردة التوجه فوراً إلى مراكز الاستلام بمناطقهم بجميع أنحاء البلاد . . لاستلام الكميات الإضافية من الألبان المعلبة» . على أن تذاع العبارة السابقة على أنها نداء من وزارة الصحة .

وبدأ الجميع يستعد للاحتفال بعيد الغفران وفى صباح يوم ٦ أكتوبر أى فى صباح عيد الغفران توجه الجنرال ديان وزير الدفاع ، والجنرال بارليف . ومعهم بعض القادة العسكريين إلى مواقع جنودنا على ضفة القناة ، وشاهد الجنرال ديان بنفسه الوضع على الضفة الأخرى من القناة من أحد أبراج المراقبة الحصينة . . فرأى الجنود المصريين وهم مستلقون على شاطئ القناة ، ويلعبون الكرة ،ويسبحون فى مياه القناة ، واطمأن الجنرال ديان إلى أن كل شىء يسير على ما يرام . .

وفى الواحدة ظهراً كنا نتبادل الأنخاب . . نهنئ أنفسنا بيوم الغفران ، وكانت الاحتفالات فى جميع أنحاء البلاد – إسرائيل – تسير بشكل عادى حتى الساعة الثانية وعشر دقائق . . حيث بدأت الإشارات والبرقيات تتوالى من مراكز القيادة الفرعية الموجودة فى القنطرة شرق . وفى وسط سيناء ، وأم ثليل والعريش والقنيطرة ، ورفح ، وجبل الشيخ ، وكل البرقيات ، والإشارات التى توالت على القيادة العامة كانت تفيد أن تشكيلات جوية مصرية قد هاجمت مواقعنا شرقى بور فؤاد والقنطرة وأم ثليل ، ويقدر عددها بأكثر من مائتى طائرة ، وهى تركز ضربها بكثافة على مراكز الإرسال والاتصال ، والقيادة والإمداد .

وفى نفس الوقت تحركت تشكيلات جوية أخرى من الطائرات السورية ، وبدأت بضرب مراكز مواقعنا الرئيسية ، فى هضبة الجولان



وفى صباح يوم ٦ أكتوبر كنا نشرب الأنخاب ونهنئ أنفسنا بعيد الغفران

وجبل الشيخ ، ولم تمض ساعة من الزمن . . حتى كنا جميعاً فى غرفة العمليات الرئيسية نتابع الموقف ، ونحن فى حالة اجتماع دائم ، وقبل أن تستقر مقاعدنا جاءتنا إشارة ثانية تفيد بأن هناك عمليات إنزال لقوات الصاعقة المصرية خلف خطوطنا . وهذه العمليات تستهدف عزل المنطقة الشرقية ، وتطويقها كلها . . كما أفادت هذه الإشارة أن بعض هذه العمليات قد نجحت ، واستطاع الكوماندوز المصريون التسلل إلى مواقعنا . وأن القتال يدور وجهاً لوجه ، وهنا ضرب الجنرال ديان المنضدة التى كنا نجلس إليها بعصبية ، وأصدر أوامره على الفور بأن يتحرك سلاح الجو الإسرائيلى بتشكيلين :

الأول يشتبك مع الطيران المصرى ، والثانى يتسلل لضرب المواقع المصرية على الضفة الأخرى من القناة .

وأصدر الجنرال بنيامين بيليد – باتى بيليد – قائد سلاح الجو أوامره . وتحرك سلاح الجو الإسرائيلى من مطارات العريش . وتمادا ، وبعد ذلك بدأت الإشارات تتوالى وكلها تفيد أن المصريين ، والسوريين قد فتحوا نيران جميع الأسلحة الثقيلة ، والمتوسطة والخفيفة بقوة وغزارة على مواقع قواتنا ، وهنا أيضاً صرخ الجنرال ديان : إذن لقد بدءوا الحرب من جبهتين . . وبعد ذلك بلحظات كان معظم قادة البلاد السياسيين . والعسكريين فى مقر القيادة ، ولم تمض ساعة حتى جاءت إشارة أخرى عاجلة تقول إن أكثر من ألف قارب مطاط محملة بالجنود المصريين

بدأت تعبر القناة .

وفى هذه اللحظة فوجئنا جميعاً بالجنرال بارليف ، وهو يصرخ بعصبية : إذن أراد المصريون الانتحار . . فليكن لهم ما يريدون . . ! وكانت الساعة ١٤٢٠ أى الثانية وعشرين دقيقة بعد الظهر - وفى الساعة ١٤٣٠ أى الثانية والنصف جاءت إشارتان جديدتان . .

الأولى تقول : إن القوات السورية بدباباتها ومدرعاتها ، وأكثر من أربع فرق مشاة قد تمكنت من احتلال ستة مواقع حصينة على الطريق المؤدية للقنيطرة ، وأن سلاح الجو السورى أسقط أربع طائرات لنا ، والإشارة الثانية تفيد بأن الكوماندوز المصريين استطاعوا تسلق الساتر الترابى المرتفع واقتحام بعض دفاعاتنا الحصينة . وأن المعارك تجرى بالسلاح الأبيض وجهاً لوجه على الضفة الشرقية لقناة السويس بعد أن عبروها ، وأنهم تمكنوا من رفع أول علم مصرى . وهم يصرخون فى شراسة لا نظير لها . . الله أكبر . . الله أكبر . !

ثم امتد القتال ليشمل جبهة السويس كلها . وصدرت الأوامر من الجنرال ديان وزير الدفاع بشن هجوم مضاد فوراً ، ومما قاله ديان فى ذلك الوقت سوف أحاصر القوة . . التى عبرت القناة ، وأمنعها من العودة ثانياً . . فلقد كان التصور وقتئذ أن هذه القوة لا يمكن أن تبقى إلى مدى طويل على الضفة الشرقية للقناة دون عبور أسلحة ثقيلة ، ومدرعات ميكانيكية بالإضافة إلى تغطية جوية . لكن الذى حدث بعد

ذلك أن القوات البرمائية المصرية بدأت تعبر القناة من جنوب البحيرات المرة، وبحيرة التمساح عند الإسماعيلية . . بعد أن نجحت القوات المصرية الأخرى فى العبور من بورسعيد .

حقًا لقد كانت الأحداث تتوالى بأسرع مما كنا نتصور ، أو نفكر . أو نخطط .

فلقد كان اعتقادنا عن الجنود المصريين فى ذلك الوقت . وكذلك السوريين أنهم لن يصمدوا طويلاً فى مواجهة مهمة أفراد جيش الدفاع الإسرائيلى بسبب الأسلحة المتطورة وبسبب الفرق النوعى بين الجندى الإسرائيلى وبينهم . . كما كان هناك سبب آخر رئيسى كنا نعتمد عليه فى كل حروبنا السابقة مع العرب وهو التقارير الكاذبة التى تعود قادتهم فى الجبهة أن يقدموها إلى القيادة العامة . . فكانت هذه القيادة العامة تصدر إليهم الأوامر بناء على هذه التقارير الكاذبة ، والتى يعلم هؤلاء القادة فى الجبهة جيداً أنها أوامر صدرت إليهم بناء على تقاريرهم الكاذبة مما يؤدى إلى تخبط القيادة سواء المركزية التى تعطى الأوامر أو التى فى الجبهة . . التى تعطى التقارير الكاذبة . .

ومنذ ذلك الوقت أصبح مجلس الوزراء الإسرائيلى فى حالة انعقاد دائم وكانت أخطر الإشارات التى وصلتنا حينئذ هى التى أفادت أن المصريين بدءوا فى صنع ممرات عبر السواتر الترابية السميكة . . باستخدام الضغط المائى أو قوة دفع المياه عن طريق مضخات خاصة . . كانوا

يستخدمونها تحت ستار كثيف من نيران المدفعية والمشاة . كما بدءوا يسقطون معديات ولوازم عبور أمام رءوس الكبارى ، وكانت بالفعل تلك الإشارة هى أخطر الإشارات . لأنها كانت تعنى أن أى تقدير للعمل العسكرى . . الذى تقوم به مصر وسوريا . . أصبح تقديرًا متأخراً . . كما اتضح أن العملية لا تقتصر على توجيه ضربة . . بل هى محاولة مستميتة للتقدم والعبور . .

وفى هذا الوقت جن جنوننا . وأصدرنا أوامرنا بأن يكثف سلاحنا الجوى هجومه فى محاولة لمنع المصريين من صنع الممرات خلال السواتر . وتعطيل إسقاط المعديات والكبارى فى القناة ، ولكن المدفعية المصرية المحملة بصواريخ سام ٦ أسقطت لنا خلال أربع دقائق خمس طائرات منها ٢ فانتوم و٣ سكاى هوك . . كما جاءت إشارة ثانية تفيد بأن القوات السورية تتقدم بسرعة نحو القنيطرة وأنها احتلت مواقع هامة لنا فى القطاعين الشمالى والأوسط .

لقد كانت الإشارات تتوالى بشكل مذهل . وكنا بقدر الإمكان نحاول المحافظة على هدوء أعصابنا . واتزان تفكيرنا . . لكننا بعد وصول الإشارة رقم ٢٢ والتى أفادت أن المصريين تمكنوا من إنشاء عشرة (كبارى) ثقيلة ، وعشرة (كبارى) مشاة ، وأن الدبابات والعربات المجنزرة والمعدات الثقيلة بدأت فى العبور إلى الضفة الشرقية للقناة . . لم نستطع أن نتوازن بشكل دقيق ، أو أن نفكر بدقة فى أى شىء بل سيطر علينا

الذهول المقرون بخيبة الأمل . . خصوصاً أن الاشتباكات الجوية بين سلاحي الجو المصرى والإسرائيلى . . قد بلغت ذروتها لكن قصف الصواريخ المصرية بعيدة المدى والطائرات المقاتلة المصرية . . استطاع أن يشل فاعلية قيادة قواتنا الجوية فى أم مرجم . ويفقدها سيطرتها على المنطقة . . لذلك صدر أمر بنقل قيادة قوات المنطقة الجوية الوسطى إلى العريش .



وصرخ ديان

لولا تأكدى من أنه لم يبق بمصر خبير سوفيتى لقلت إننا نحارب روسيا !

ثم صدرت الأوامر فى الساعة ١٦٠٠ – أى الساعة الرابعة بعد الظهر – بأن يذاع نداء استدعاء الاحتياط . . مع أول بلاغ نصدره إلى الإذاعة عن المعارك والعمليات العسكرية هذا فى الوقت الذى وسعت فيه القوات المصرية هجومها . . فامتد إلى الساحل الشمالى . حيث قامت وحدة كوماندوز مصرية . . بهجوم على أحد مواقعنا الحصينة شرقى بور فؤاد وكان معنى نجاح هذه العملية . . أن تصل القوات المصرية عبر الطريق الساحلى إلى أهم مركز لقيادة جبهة سيناء كلها والموجودة فى منطقة (رمانة) .

. . فأصدر الجنرال ديان أوامره بنقل الكثافة الجوية . وكثافة الاحتياط المدرع لمنع تقدم المصريين على الطريق الساحلى واستمر القتال ساعة انسحبت بعدها القوة المصرية المهاجمة بعد أن قتلت سبعة جنود لنا . ولكن المفاجأة اتضحت بعد ساعة واحدة من انسحاب القوة

المصرية إلى مواقعها فى بورسعيد ، وكانت هذه المفاجأة من النوع الذى يخفيه الطريق . . فقد اتضح أن هناك قوة انتحارية أخرى . . تقطع الطريق الساحلى المؤدى إلى منطقة رمانة . . فى حين كانت تتحرك قوات مصرية أخرى لمحاصرة المنطقة .

وما إن أشارت عقارب الساعة إلى ١٧٠٠ أى الخامسة حتى كانت قد سقطت لنا ١٤ طائرة وكانت الإشارات الأخيرة التى نلتقطها قبل سقوط هذه الطائرات أن هناك شيئاً ما يجذب الطائرة إلى مجال صواريخ سام ٦ حيث يتبعها الصاروخ ، ولا يتركها إلا وهى محترقة ، وكانت مهمة الطائرات فى بادئ الأمر هى المناورة . وجذب الطائرات الإسرائيلية إلى مدى شبكات صواريخ سام – ٦ – فأصدرنا أوامرنا بألا يقترب الطيارون الإسرائيليون من القناة ، وأن يمارسوا عملياتهم على بعد ١٥ ، أو عشرين كيلو متراً من الضفة الشرقية . وهذا معناه أن هناك مسافة كبيرة . . فقدنا السيطرة الجوية عليها ، وهى التى كنا نعتمد عليها بصورة كبيرة . . الأمر الذى جعل حركة الآليات المصرية سهلة . . وعلى الرغم من أننا كنا نتحرك بسرعة .

. . إلا أن النهار أوشك أن ينتهى دون أن نحقق هجمة مضادة ناجحة . ومؤثرة . . نوقف بها تدفق المعدات الثقيلة عبر الكبارى إلى الضفة الشرقية حيث مواقع قواتنا . . الأمر الذى أدى إلى أن يصبح القتال شبه مواجهة بالأسلحة الثقيلة ، وكان معنى أن يأتى الليل ويسود

الظلام أن تنتهى أية فاعلية لسلاحنا الجوى فى الوقت الذى تستطيع فيه القوات المصرية تثبيت وتحصين هذه الكبارى . وبالفعل بدأت طائرات الهليكوبتر المصرية فى التدفق إلى الضفة الشرقية للقناة ، وهى محملة بجنود الصاعقة . وتم الإنزال المصرى داخل بعض مواقعنا بعد أن وصلت إلى حالة الشلل التام فاعلية سلاح المدرعات فى المنطقة . . بعد أن استطاع بعض رجال الكوماندوز المصريين صنع شباك شراكية . . أعاقت تحرك دباباتنا .

وفى الساعة ١٩٤٠ أى – الثامنة إلا الثلث مساء – كانت حصون خط بارليف الحصينة . . قد أصبحت تحت سيطرة المصريين وبحثنا عن بارليف . . فلم نجده ومنهم من قال إنهم شاهدوه يسرع خارجاً ، والدموع فى عينيه لأن الحقائق بدأت تتضح أمامنا شيئاً فشيئاً وكانت هناك حقيقة واحدة ومؤكدة . . تصيبنا جميعاً بالوجوم والذهول . وهذه الحقيقة هى أنه قبل حلول الظلام فى يوم ٦ أكتوبر . كانت ٩ مواقع حصينة من قلاع خط بارليف . . قد سقطت فى أيدى المصريين . . بالإضافة إلى ١٧ موقعاً من المواقع القوية الأخرى والبالغ عددها ٣١ موقعاً قويًّا . وخط بارليف كان يتكون من ٢٢ قلعة حصينة بالإضافة إلى ٣١ نقطة قوية .

كما أن الإشارات كانت تؤكد أن أكثر من ثلاثين ألفاً من الجنود المصريين أصبحوا يقاتلون فى الضفة الشرقية ومازالت المعدات الثقيلة



بحثنا عن الجنرال بارليف فلم نجده قبل إنه كان يبكي . .

تعبر الكبارى إلى الضفة الشرقية وهذا يعنى بالدرجة الأولى أن مرحلة صعبة من القتال سوف تبدأ . . مرحلة مواجهة شاملة . . وهذا ما لم نكن نحسب له حسابه الدقيق – والتلاحم فى القتال بين جنودنا والمصريين معناه أن يفقد سلاحنا الجوى فاعليته . . أو قدرته على مفاجأة العدو . وشل حركته . . كما أن قيادة سيناء الوسطى . . لم تعد قادرة على إعطاء الأوامر والتوجيهات السليمة لقواتنا نظراً لأن المصريين يحاصرونها بشدة ويركزون عليها قصفاً شديداً فأصدرنا الأمر إلى القيادة الفرعية فى القنطرة . . لتحل محل قيادة سيناء الوسطى فى توجيه قوات القطاع الأوسط . . وذلك بعد أن حطمت الطائرات المصرية بصواريخها معظم أجهزة قيادة وسط سيناء وأصبح مجموع ما سقط لنا من طائرات حتى الساعة ٢٢١٠ أى العاشرة وعشر دقائق ٢٥ طائرة . . برغم الأمر الذى أصدرناه فى الساعة ١٧٠٠ أى الخامسة – بعدم اقتراب طائراتنا المقاتلة من منطقة الشط فى القناة . . لتفادى شبكات صواريخ سام ٦ وطلبنا من طائراتنا أن تعمل فى مدى يبعد من ١٠ إلى ١٥ كيلومترا عن نطاق صواريخ سام ٦ .

وكان يجب أن نجتمع سريعاً . . لنحدد الخطوة التالية . . فالأمر كما هو واضح أمامنا يحتاج إلى هجوم عنيف مضاد من شأنه أن يوقف على الأقل زحف القوات المصرية والسورية . . التى أصبحت قريبة من مشارف مدينة القنيطرة واستولت على ٦ نقاط قوية على سفوح جبل الشيخ .

أصبح القتال يسير ضارياً وشرسا : هذا ما قالته آخر إشارة قبل أن نجلس على مائدة الاجتماع فى غرفة العمليات . . وقبل أن نجلس أيضا كنا نحتاج إلى هدوء أعصاب . وتركيز عقلى . . لاتخاذ خطوات عاجلة أو حاسمة فى معالجة الموقف . . الذى يتدهور بسرعة فائقة - فالدلائل جميعها تشير إلى أننا نواجه خطة دقيقة ومحكمة . . لا نعرف مداها أو أبعادها . . بعد أن أصبحنا أمام واقعين جديدين تماما فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى أديا إلى سقوط كل حساباتنا العسكرية والمقاييس التى بنينا عليها خططنا .

وكان الواقع الأول : أنه لم يعد هناك حاجز مائى يمنع تدفق المصريين إلى مواقع قواتنا فى الضفة الشرقية للقناة .

والثانى : أن حصون خط بارليف المنيعة . . لم تعد لها فاعلية . ولم تعد هى الخط الدفاعى المأمون . . بعد أن سقط معظمها ، وكان ذلك يعنى أن مرحلة من القتال الضارى سوف تبدأ .

ومعنى ذلك أيضاً أن مواجهة حقيقية سوف تبدأ إن لم تكن بالفعل قد بدأت بين القوات المصرية وقوات جيش الدفاع الإسرائيلى والنتيجة الحتمية لهذه المعادلة الصعبة هى خسائر جسيمة فى الأرواح . وهذا ما نعمل له دائماً ألف حساب . . لأن تعويض المعدات بالنسبة لنا أمر سهل والشيء الصعب هو تعويض الفرد ، ومن العبارات التى كان الجنرال ديان دائم الترديد لها على مسامعنا هى : إن خسارة جندى

إسرائيلي . . تعادل خسارة العرب لمائة جندى عربى . وهذا أمر نسبى بالنسبة لحجم إسرائيل البشرى ولنوعية الفرد فيها . . فهو مقاتل وعامل فى نفس الوقت .

لقد كان ما يحدث بالفعل كارثة حقيقية . وكانت آثار هذه الكارثة واضحة تماماً على وجوهنا جميعاً . . كانت الكآبة والذهول ، والتوتر علامات بارزة تخيم على جو قاعة الاجتماعات التى نجلس فيها فى غرفة العمليات – الوحيد الذى كان وجهه هادئاً هو رئيس الدولة . . لأن منصبه فى إسرائيل منصب تشريفى ولا يتحمل أية مسئولية – وكان قد حضر هذا الاجتماع بعد أن استدعيناه وكان يتوقع ما حدث . . إلا أنه هو الآخر حينما بدأ يقرأ آخر الإشارات الواردة من الجبهتين المصرية والسورية ظهر عليه الاهتمام الشديد . وكانت كل هذه الإشارات تشير إلى إصرار المصريين والسوريين على مواصلة التقدم .

إذن فالأمر ليس عملية دعائية محدودة . . إنها الحرب . . الحرب بكل ما تعنيه هذه الكلمة فى العرفين العسكرى ، والسياسى . . حرب تختلف عن كل الحروب . . التى خضناها ضد العرب . . فدائماً كانت المبادرة فى أيدينا . وكان التحرك بالنسبة لنا أمراً سهلا – لأننا نحن الذين كنا نهاجم . ولكنهم هم الذين هاجموا . ومعنى ذلك أن التوقيت لهم ، والهجوم لهم . . أما المفاجأة فهى التى لنا . وأصبح علينا أن ندافع . وهذا أمر مرير كان يحز فى نفوسنا جميعا . . كما أن الملاحظ حتى الآن أن

المصريين والسوريين غيروا طبيعتهم . . التى كنا نعرفهم بها ، ونعتمد عليها . . أعنى لم تعد لديهم تقارير كاذبة إلى قيادتهم العامة . .

وهنا دخل الجنرال بارليف صائحاً وكان قد تأخر قليلا عن بداية الجلسة :

هؤلاء الصحفيون أوغاد ، وكان قبل أن يدخل قد استوقفه المراسل العسكرى بصحيفة معاريف المسائية — أعتقد أنه يعقوب ايرز — وسأله . . هل حقًا حطم المصريون خط بارليف ، وعبروا القناة . ولم يتمالك بارليف أعصابه . . فلكمه فى وجهه لكمة قوية أصابته .

فى هذا اليوم المشحون بالتوتر ، والذهول والوجوم . . بدأنا أول اجتماع لنا لنخطط بسرعة للخطوة المقبلة .

وفى هذا الاجتماع كان أمامنا ثمانى خرائط توضح اتجاهات القتال الدائر بشراسة على الجبهتين المصرية والسورية ، وكانت مناقشاتنا تدور حول إعداد خطة لهجوم مضاد مكثف . . نعتمد فيه بالدرجة الأولى على الاحتياطى التعبوى التكنيكى — ونوقف به تقدم القوات المصرية والسورية . . لأنه كان معنى أن نظل ندافع أن مزيداً من التقدم سوف يتحقق للمصريين على خطوط القتال ولخصنا خطتنا فى النقاط التالية .

١ — تحطيم رءوس الكبارى . . التى أقامتها القوات المصرية لكى نوقف عبورها من خلال جسورها إلى الضفة الشرقية لعزلها ، ومحاصرتها ، والسيطرة عليها تماما .

٢ – ضرب شبكات صواريخ سام ٦ . . التى تعوق فاعلية سلاحنا الجوى مع توجيه ضربة للمطارات المصرية الرئيسية والموجودة فى عمق الدلتا .

٣ – تحريك أربع لواءات مدرعة وخمس فرق مشاة إلى مناطق القتال فى سيناء الوسطى .

٤ – تحريك سلاحنا البحرى لضرب شمال بورسعيد واللاذقية ، وطرطوس مع أول ضوء لفجر ٧ أكتوبر فى نفس الوقت الذى يكون فيه سلاحنا الجوى يقوم بتوجيه ضربة مركزة على أرتال الأسلحة الثقيلة . . المتقدمة فى سيناء ، والجولان مع التأكيد على تفادى الدخول فى مجال صواريخ سام ٦ .

٥ – نقل قيادة سلاح الجو فى المنطقة الشمالية إلى العريش بعد أن أصبحت مطارات المليز والجدى ، وأم مرجم فى حالة خطرة .

٦ – أن يعتمد قتال جنودنا على تفادى القتال المباشر ، أو قتال المواجهة مع القوات المصرية ، والسورية وذلك بصنع حصار كثيف من النيران الثقيلة ، والصاروخية ، وشبكات الألغام العازلة .

٧ – تطويق القوات السورية المتقدمة فى القطاعين الشمالى ، والأوسط على مرتفعات الجولان بأربعة لواءات مدرعة إضافية وثلاث فرق مشاة .

٨ – أن يظل الاتصال مفتوحاً ، ودائماً بوزارة الدفاع الأمريكية

للتشاور فى تطورات الموقف أولاً بأول .

والأمر الذى كنا نتوقعه وكنا نخشاه ، ونعمل له ألف حساب أن يحاول المصريون خلال الليل تفريغ مواقعهم ، ودفع المزيد من التعزيزات الثقيلة . والآلية والبشرية ، وكان واضحاً أنهم سيطورون الهجوم بعد ذلك باتجاه نحو سيناء وسوف يركزون بعد ذلك على قتال المواجهة أو القتال المباشر . . وبالفعل هذا ماحدث . . فقد بدأت بعد ذلك بقليل الإشارات تتوالى عن أعداد هائلة من الدبابات ، والمدرعات ، والأسلحة المصرية الثقيلة . . بدأت تتدفق لتعزيز مواقعهم شرق القناة ، وأن القوات المصرية تتحرك بسرعة مذهلة فى اتجاه قواتنا وهنا صرخ الجنرال ديان قائلاً : لو لم أكن متأكداً من أنه لم يبق خبير سوفيتى واحد بمصر . . لقلت إننا نحارب روسيا نفسها ! .

قبل أن تنعقد هذه الجلسة . . كنا قد طلبنا من الولايات المتحدة . ومن الأجهزة المتخصصة بها إبداء الرأى العاجل فيما حدث ، وتزويدنا بالخطط التى يرونها صحيحة ومناسبة لمثل هذا الموقف وفى أثناء الجلسة جاءنا الرد الأمريكى . . بأن ننتظر قليلاً . . حتى يتم للخبراء الأمريكيين تقييم الموقف على ضوء التطورات الأخيرة . . بعد عبور المصريين للقناة وانتهاء فاعلية خط بارليف ولكنهم نصحونا بأن نحاول بكل جهد تحطيم رءوس الكبارى المصرية خلال الساعات الأولى من النهار أى نهار السابع من أكتوبر – كما نصحونا أيضاً أن نوجه ضربة قوية لشبكات

صواريخ سام ٦ بسرعة وأن نتجنب القتال المباشر . وهذا هو بالضبط عين ماكنا قد اتفقنا عليه .

كما أنه كانت هناك نقطة جوهرية بالنسبة لنا اختلفت فيها هذه الحرب عن حرب عام ١٩٦٧ وأعتقد أنا شخصياً أنه كان لها أثر كبير على نجاح خطة المصريين وهى أنه لم تكن هناك اتصالات أو إشارات فرعية بين قيادات القطاعات . والألوية المصرية يمكن أن نلتقطها لنحدد بعد ذلك خطوتنا التالية . . فى هذه المرة . وعلى الجانب المصرى كانت الخطة محكمة . وكان كل قائد يعرف مهمته بالتحديد . ودون الرجوع إلى القيادة عن طريق اتصالات أو إشارات . . ولا أعرف كيف نمى إلى علم المصريين أماكن مراكز الشوشرة والتجسس الإليكترونية فى أم مرجم . . فأرسلوا إحدى وحدات الكوماندوز القادمة لهم فى الساعة ١٦٠٠ أى الرابعة من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر وأبطلت فاعليتها .

لكن الأمر الذى أثار انفعالنا جميعاً . . كان حين وصلت إشارة تقول إن الموقع – د – الحصين وهو أحد دفاعات خط بارليف المنيعة التى كنا نعتمد عليها والموجودة شرقى بورسعيد قد سقط فى أيدى المصريين ، وقتلوا كل من فيه . . كما أنهم أسروا ضابطاً وسبعة جنود ممن تبقوا أحياء ، وكان هؤلاء أول أسرى لنا يقعون فى أيدى المصريين . . بعد عشر ساعات فقط من بدء الحرب . . فقد صرخ ديان ساعتها بحدة . وبانفعال فى وجه الياهو زعيرا مدير المخابرات قائلاً : إننى



كانت الإشارات تحمل أنباء مؤلمة . . مفجعة ، وكان المصريون يتعمدون أن تسير معظم المعارك
فى أثناء الليل . . وهم فى القتال لا يرحمون وعدد قتلانا وجرحانا كبير

أحملك مسئولية ما يحدث ، وبنفس الحدة ، والانفعال صرخ فيه زعيرا لقد حذرتكم ، وكنت أنت دائما تقول لنا إنه من المستحيل دخول المصريين أى حرب ضدنا أو عبورهم للقناة ، وأنت بنفسك وبعينى رأسك . . قد شاهدتهم صباح اليوم .

وهم مستلقون فى استرخاء شديد على حافة القناة . . يلعبون الكرة ويسبحون فى القناة ، وأنت وزير دفاع له شأنه . . لماذا لم تحس أو تشعر بأن حدثاً أو كارثة مخيفة سوف تقع . . ؟

كانت القوات المصرية . . كما ذكرت سابقاً تسير بناء على خطة محكمة التفاصيل . . فقد عززت قواتها ، ومواقعها فى شرق القناة . . بأعداد هائلة من الدبابات والمدرعات والأسلحة الثقيلة . . كما أنها بدات فى تعميق رءوس الكبارى . . وبدأنا نحن فى تنفيذ خطة الهجوم المضاد بثلاثة ألوية مدرعة إضافية . . بالإضافة إلى قواتنا شرق القناة ، وبدا سلاحنا الجوى بتشكيلات يصل عددها إلى ١٦٠ طائرة فى مهاجمة التجمعات المصرية . . مع أول شعاع لضوء يوم ٧ اكتوبر ولكن الأوامر مازالت صارمة إلى سلاحنا الجوى . . بعدم الاقتراب من مجال الصواريخ أرض – جو المصرية ، وكنا بذلك نحقق هدفين :

١ – إبطال فاعلية هذه الصواريخ .

٢ – جر سلاح الجو المصرى لمعارك فردية فى السماء الخالية .

وكان هذا بالفعل هو ما حدث . . لكن ما لم نكن نتوقعه هو أن

الطائرات المصرية اشتبكت مع طائراتنا فى قتال عنيف وضار . وأجبرتها على أن تدخل مرة أخرى مضطرة إلى مجال الصواريخ أرض جو . . فى نفس الوقت الذى استطاعت فيه مجموعات برمائية مصرية من التى تسللت عن طريق جنوب البحيرات المرة ، وبعض الدبابات من الوصول إلى مركز القيادة فى متلا ، وقطعه عن الطريق الشمالى ، كما هاجمت مقر قيادة القطاع الجنوبى المتمركز عند مضيق متلا وكانت الإشارة التى وصلتنا تفيد بأن القوات المصرية تحاصر مقر قيادة القطاع الجنوبى من جميع الاتجاهات ، وأن الأمر يتطلب تدخل السلاح الجوى . . هذا فى الوقت الذى كانت فيه معارك الردع شرقى مدينة القنطرة شرق تسير بشراسة . ومواجهة عنيفة .

إن المصريين يفجرون أنفسهم أمام ، وفوق مدرعاتنا تلك كانت إشارة ثانية ، وكانت تعنى قبل كل شىء أن تقديراتنا السابقة حول الجندى المصرى ، وقدرته القتالية ، والفرق النوعى . . الذى يفصل بينه وبين الجندى الإسرائيلى كانت خاطئة . . لقد كان المصريون وحوشاً وليسوا جنوداً .

كما كان واضحاً من خطة الهجوم المضاد بعد مرور الساعة العاشرة والنصف من صباح السابع من أكتوبر . . وبعد وصول قوة مصرية أخرى إلى مطار تمادا وإبطال فاعليته ومحاصرتهم لمنطقة الجدى ، وسقوط تسع طائرات أخرى لنا . . كان واضحاً من كل هذا أن خطة

هجومنا المضاد . . قد انتهى أمرها ، وعلينا التدبر حسب التقديرات الأخيرة للموقف ، وسير المعارك على أرض القتال . وكانت القوات المصرية تركز جهودها فى ذلك اليوم على ما يلى :

١ – محاولة الاستيلاء على القنطرة شرق بأى ثمن .

٢ – تعميق وتثبيت رءوس الكبارى .

٣ – تثبيت التمركز فى المواقع التى احتلوها على الضفة الشرقية للقناة . . ثم تطوير هجومهم وتقدمهم شرقا .

٤ – تعطيل كل قياداتنا الفرعية فى متلا . والجدى وكذلك المطارات القريبة من الجبهة لتصبح عمليات إمدادنا صعبة . وطرق مواصلاتنا شائكة . . حيث أصبحنا بعد ذلك بالفعل نحتاج من عشر إلى سبع ساعات لكى تصل قواتنا التعبوية من الاحتياط التكنيكى إلى مواقع القتال . وكان هذا عاملا مهمًا فى إنهاك قواتنا . . فى الوقت الذى تحولت فيه الهضبة السورية إلى كتل مشتعلة . . فالقتال فيها أعنف من أى تصور . وكانت أنباء سقوط المواقع التى كنا نحتلها واكتساح السوريين للخط الذى اصطلحنا على تسميته بالخط البنفسجى . وتوجههم باتجاه وادى الأردن– أمرا مقلقا للغاية .

وأقول بمرارة . . إننا من بعد ظهر هذا اليوم أى ٧ أكتوبر كنا قد فقدنا سيطرتنا على توجيه قواتنا فى المنطقة الشرقية كلها . . فقد كان تقدم القوات العربية على الجبهتين الشمالية ، والجنوبية يسير بمعدل واحد . لقد



كان موشى ديان محطماً مهزوماً لا يدرى ماذا يفعل . . فقد كان حجم الخسائر البشرية كبيراً

كنا كما ذكرت من قبل ذلك أمام خطة محكمة تنفذ على جبهتين عريضتين وكأنها تنفذ على جبهة واحدة .

وفى هذا الوقت أى بعد ظهر السابع من أكتوبر . . كان رئيس الدولة مازال معنا فى غرفة العمليات لكن وجهه أصبح جامداً . . مثل جليد القطب الشمالى وكان الجنرال ديان يتحاشى النظر إليه .

وكانت البلاد من الداخل تعيش فى حالة ذعر وقلق . . بعد تسرب أنباء القتال عبر المحطات الأجنبية ، وساد جو من الكآبة والوجوم والذهول كل أنحاء إسرائيل . وقبل أن يغادر رئيس الدولة مقر القيادة العامة صرخ فى وجوهنا جميعا بعصبية قائلاً : ادفعوا الآن ثمن غروركم وسوء تقديركم ، واسترخائكم ، ولست أدرى كيف ستواجهون شعب إسرائيل بعد ذلك .

إذن : لقد احتل المصريون القنطرة شرق !

قالها ديان . . وهو :

منهار . . محطم . . مهزوم ! !

كانت الإشارات تتوالى ليلة السابع من أكتوبر بسرعة مذهلة . . بمعدل كل خمس دقائق إشارة وكل إشارة تحمل نبأ أقل وصف له أنه مفجع ، أو مؤلم . . وكان المصريون يتعمدون أن تسير معظم المعارك فى أثناء الليل . . كما أنهم كانوا مصممين على السيطرة على مدينة القنطرة شرق . وقد أفادت إشارة بأن القتال يسير بين سلاح المشاة المصرى ومدرعاتنا . . كما أفادت إشارة أخرى بأن القتال تطور ليصبح بالسلاح الأبيض وأن المصريين يقبلون تراب الأرض . . وأنهم فى القتال لايرحمون ومن الساعة الحادية عشرة والربع من ليلة السابع من أكتوبر . . أبلغتنا قيادة قواتنا فى المنطقة أنه من المستحيل الاستمرار فى القتال ، وأن المصريين قد احتلوا مدينة القنطرة شرق بعد أن استولوا على كل حصونها ، وقلاعها الحصينة وكان عدد هذه القلاع سبعة من أقوى الحصون الموجودة على خط بارليف . . أما الإشارة التالية . . فكانت

تطلب طيارات إسعاف سريعة . . لأن عدد القتلى والجرحى كان كبيراً بدرجة خطيرة . وشعرت برأسي يدور ، وبعيني تزوغ ، وبالرؤية والأشياء ، غير واضحين أمامي . . لأن صيغة هذه الإشارات كانت مكتوبة بصورة هلعة وجزعة .

إذن لقد احتل المصريون القنطرة شرق . . هكذا تكلم ديان . . إلا أنه لم يكن عصبياً ، ولم يكن منفعلاً كعادته . . بل كان منهاراً محطماً . . لايدرى ماذا يفعل أو بأى لهجة يتحدث وكنا نحن كذلك ، وأكتفى هنا بهذه الكلمات . . لأنه لايمكن لأحد مهما أوتى من أسلوب فى الكتابة والتصوير أن يصور هزيمة – أى هزيمة ومهما كان بارعاً . أوحاضراً على مسرح العمليات العسكرية لايستطيع أن يصور الهزيمة بقدر مايراها على وجه قائد مهزوم فى تقديراته . وخططه وتاريخه . .

هكذا كان ديان . . الذى طلب بسرعة أقراص الإسبرين ، وأقراصاً مهدئة . وابتلع منها أكثر من ثلاثة حبوب . . أما الجنرال بارليف . . فقد وضع وجهه بين راحتيه ، وكانت عيناه محمرتين وتظهر منهما علامات الكسوف والبلادة .

أما الشعب فى الشوارع فقد بدأ يشعر بالكارثة . . فسيارات الإسعاف تعود محملة بالجرحى من على الجبهتين . . وكان واضحاً للجميع أن حجم خسائرنا البشرية كان كبيراً نسبياً إذا ماقورن بساعات القتال . . وحتى الواحدة من بعد منتصف ليلة السابع من أكتوبر كان عدد الجنود

والضباط الذين أسروا على الجبهتين المصرية والسورية ٤٧ جندياً وضابطاً . وعاد الحوار الساخن والعصبي من جديد يدور بين ديان وإلياهو زعيرا مدير المخابرات وكان واضحاً أن الجميع فى غرفة العمليات يعانون من نفس حالة ديان . وكان كل واحد يحاول أن يوحى بأن المسئولية تقع على عاتق الآخر . . وأن هذا الآخر هو المسئول الأول عن الهزيمة .

وجاءت بعد ذلك إشارة عاجلة ، وخاصة تفيد بأن طائرة عسكرية أمريكية . . تحمل مسئولاً كبيراً ، وتريد السماح لها بالهبوط فى مطار بن جوريون . . إلا أن الإشارة لم تفصح عن هوية المسئول الأمريكى . . وسمحنا للطائرة بالهبوط .

كانت الساعة تقارب الثالثة من صباح الثامن من أكتوبر . . حين حضر إلى مقر رئاسة الأركان المسئول الأمريكى الكبير ، وكان أحد العسكريين فى البنتاجون – وزارة الدفاع الأمريكية – والمسئول عن منطقة الشرق الأوسط بها ، وكان يحمل معه مجموعة من التقارير الخاصة ، والصور . . وكلها عن حالة القتال . . ثم الصور الخاصة بالمعارك . . وبمواقع القوات . . كما التقطها القمر الصناعى الأمريكى .
وكان واضحا أنه لم يكن أقل منا جزعاً على تدهور الموقف على الجبهتين لصالح العرب . . إلا أننى شعرت بحزن دفين واستياء بالغ من عباراته . . فكأنه جاء للمواساة ، وليس للمساعدة .

وبعد أن استعرض الموقف قال : إن الحل الوحيد هو عزل إحدى الجبهتين عن الأخرى أو بمعنى أوضح توجيه ضربة مكثفة على إحدى الجبهتين لشل الجبهة السورية ، أوالجبهة المصرية أولا . . حتى يستقيم لنا القتال على جبهة واحدة – أومايسمى بعملية الانفراد الجزئى لتحطيم التجمع الكلى . . وأخبرنا المسئول الأمريكى بأنه تدور الآن اتصالات بين أمريكا والاتحاد السوفيتى من أجل تدخل السوفيت لحمل العرب على وقف القتال . . والأهم من ذلك أنه اتفق معنا فى الرأى أن القتال لو استمر أكثر من ستة أيام . . فإن ذلك فى غير صالحنا خاصة إذا طور المصريون هجومهم شرقاً باتجاه الممرات . وهذا أمر غير مستبعد وإذا استمر القتال أيضا على الجبهتين الشمالية والجنوبية ، وكان يدرك أن عمق رءوس الكبارى التى أقامها المصريون . . وقد وصل إلى ٨ كيلومترات وأن الأعداد الهائلة من المعدات والأسلحة الثقيلة . . التى عبرت . . ووجود أكثر من ٥٠ ألف جندى مصرى فوق الضفة الشرقية كل هذه أمور تجعل من المستحيل التفكير فى ضرب رءوس الكبارى وعزل هذه القوات . .

وكان المسئول الأمريكى يتحاشى الحديث عن العبور وعن ضياع خط بارليف . . الذى تربطه به صداقة قديمة وحميمة . أما الخطة التى حملها معه فكانت تتلخص فيا يلى ؟

١ – توجيه ضربة قوية لسلاح المدرعات وأرتال الدبابات المصرية



وقطعنا كل اتصال بمطاراتنا فى سيناء

الموجودة على ضفة القناة الشرقية . . لشل فاعليتها وفتح ثغرة بعد ذلك . . لضرب رءوس الكبارى . . فيتم عزل هذه القوات .

٢ – محاولة جذب سلاح الجو المصرى . . لمعارك بعيدة عن أرض المعركة . . أى فى العمق المصرى . . باتجاه الكثافة السكانية فى مناطق المنزلة والمنصورة . . مما يجعل عمل صواريخ سام ٦ مقيداً ومحدوداً . .

المهم أن نقوم بإنهاك إحدى الجبهتين . . للتفرد بالجبهة الأخرى ونكثف هجومنا عليها . . وبرغم ظواهر الكارثة . . كان المسئول الأمريكى مطمئنا إلى أنه بالإمكان الحد منها . . حتى اليوم الرابع للقتال . .

* * *

حمل إلينا صباح الثامن من أكتوبر نبأ حزيناً مفجعا . . فقد انقطع الاتصال بين القيادة العامة فى تل أبيب وبين مطارى تماده والمليز ، وكان المعنى الوحيد لذلك هو فقدان ١٥٠ طيارة تتحمل العبء الكبير فى المعارك الدائرة على مسرح العمليات وهى الموجودة فى المطارين . .

ولم يعد أمام طياراتنا سوى مطار العريش وهذا يعنى ضياع عشر دقائق وهى زمن يعنى عسكريا الشيء الكثير . . ثم بعد ذلك توالت الإشارات عن صعوبة ضرب رءوس الكبارى برغم كل المحاولات . . لتفادى الصواريخ المصرية أرض جو والأوامر بالابتعاد عن مجالها من ١٠ إلى ١٥ كيلومتراً . . إلا أنها كانت وعلى حد تعبير أحد الطيارين وكأنما

تحمل جسماً مغناطيسياً يجذب الطائرة وهكذا فشل أول هجوم مضاد لنا على الجيش الثالث والثانى المصريين وأصبح شبه منعدم تماماً عمل سلاحنا الجوى وأصبحت نسبة فاعليته ٤٠٪ فقط بعد أن كنا نعتمد عليه ١٠٠٪ وأصبحت القوات السورية على بعد خمس دقائق من وادى الأردن . . بعد أن استولت على نقطة « المحيصل » الحصينة وبدأت معارك ضارية بالدبابات والمشاة . . اشتركت فيها ثلاث كتائب دبابات وثلاثة ألوية مدرعة لنا وجاءت إشارات أخرى تفيد بأن وحدات من الصاعقة المصرية . . تسللت وهاجمت أهدافنا فى مناطق أبورديس وبلاعيم «وأبوزنيمة» .

ثم وصلت إشارة لاحقة للإشارة السابقة تفيد بأن قواتنا المتواجدة فى هذه المنطقة . . تطلب نجدة عاجلة . وتدخلاً عسكرياً أوجوياً سريعاً ضد هؤلاء الكوماندوز المصريين . . فصدرت الأوامر بتحرك لواء مدرع . . وفرقة مشاة ميكانيكية من الشمال لحماية هذه الأهداف الهامة والحيوية ولكننا بعد ساعات قليلة من تحرك اللواء المدرع وفرقة المشاة من الشمال فى سيناء لحماية ونجدة قواتنا الموجـودة فى أبورديس وبلاعيم وأبوزنيمة . . اكتشفنا أن هجوم رجال الصاعقة المصرية باتجاه هذه الأهداف . . لم يكن يعنيها فى حد ذاتها « بل كان يهدف إلى تخفيف قواتنا المقاتلة فى الشمال » لتتم للقوات المصرية فرصة زيادة وتعميق رءوس الكبارى وزيادة تعزيزاتها . . ثم وصلت إشارة عاجلة أخرى

تقول إن وحدة أخرى من الكوماندوز المصريين . . استطاعت الوصول إلى مستودعات البترول ومنشآت التجميع والتنقيب والتكرير الجزئية فى منطقتى شيراتيم وسدر . . ونسفتها ، وبدأت الحرائق تشتعل بجنون فى المنطقتين . . وأن الطائرات المصرية تواصل قصفها المركز الشديد على مطاراتنا ومواقع دفاعاتنا الجوية ومراكز القيادة والإمداد والشوشرة . وفى نهاية يوم ٨ أكتوبر . . لم يعد صالحاً للعمل إلا مطار العريش . . الذى أصبح يتحمل بمفرده عبء سير المعركة كلها . ولقد فقدنا اثنتى عشرة دبابة فى ساعتين على امتداد القنطرة شرق . . التى كان المصريون يستميتون للسيطرة الكاملة عليها وعلى المساحة المحيطة بها . . . التى تضم ٩ نقاط قوية ، مدفعية أرض – أرض وشبكة صواريخ مضادة للطائرات ولم يعد فى إمكاننا إخفاء مظاهر الهزيمة . . لقد أصبح ديان رجلاً محطماً لايعرف كيف يتصرف . . أما أنا فقد كنت على وشك الانهيار . . فقد مضى اليوم الثالث للقتال دون أن نحقق فيه أية نتائج وفشلت الخطة الهجومية المضادة ومازال المصريون والسوريون . . يواصلون التقدم وحين جاءنا نبأ سقوط ٢٢ طائرة خلال الساعات الست الماضية على الجبهة السورية فقط صرخ ديان قائلاً : سوف أضرب دمشق ولن أجعل فيها – حجراً فوق حجر أوحتى حجراً لن تصل إليه القنابل . .

* * *

وقبل أن يغادر المسئول الأمريكى البلاد . . عقدنا معه اجتماعاً



حزنهم ظاهر على الوجوه

آخر ، وكان واضحا من تحليله للمعركة أن الدوائر الأمريكية المختصة . . قد فوجئت هى الأخرى بالهجوم المصرى والسورى بهذه الطريقة وهذا العنف وكان حديثنا مركزاً على كيفية شل فاعلية الدفاع الجوى المصرى وتدمير شبكات الصواريخ ومواقعها واقترحت أنا أن نركز على القطاعات المختلفة كل على حدة . . على أن نبدأ أولا بضرب القطاع الشمالى من جهة السويس لشل فاعلية الدفاع الجوى من بورسعيد وحتى القنطرة ثم نبدأ بنفس العملية جنوباً ومعنى ذلك أن نضحى بعدد من طياراتنا وندفع بعدد كبير منها فى مغامرة لانجد بداً ومفراً من دخولها . . بعد أن سقط خط دفاعنا الأول وتصدع خط دفاعنا الثانى ولم يصبح أمامنا إلا الانسحاب والتمركز فى خط دفاع الممرات وهنا سيكون الحصار علينا رهيباً ولو تمكنت وحدات الصواريخ المصرية من العبور إلى الضفة الشرقية . . فإن ذلك أمر بالغ الخطورة . . حيث يصبح دفاعنا الثالث فى منطقة الممرات . . تحت رحمة حماية أكيدة . . تعرقل عمل سلاحنا الجوى وجاءت إشارة عاجلة من الجنرال إبراهام مندلر قائد قواتنا فى سيناء غاية فى السوء وهى أن المصريين يستخدمون نوعا من صواريخ سام ٧ المتطورة محلياً والتى يحملونها باليد . . لتستخدم ضد الدروع والدبابات وإن خطتهم اتضحت فى أنهم يستخدمون أفراد هذه المشاة حاملى هذه الصواريخ لإنهاك دروعنا . . قبل أن تتعامل مدرعاتهم مع مدرعاتنا وأن حاملى هذه الصواريخ . . يقاتلون بشراسة ويواجهون

المدرعات منفردين . .

ولكن الأمر الأكثر خطورة . . والذى جاء فى تقرير مندلر كان أن الضباط الصغار والقادة الصغار أصبحوا يبلغون القيادة تقارير كاذبة وكان معنى ذلك أن العيب الذى كنا نعتمد عليه فى حروبنا مع العرب . . قد أصابنا نحن . . وانتقلت عدواه إلى صغار قادتنا .

وكان هجومنا المكثف على بورسعيد وعلى شبكات الدفاع الجوى بها والذى استخدمنا فيه ٩٨ طيارة قد فشل تقريبا وسقطت لنا اثنتا عشرة طيارة فوق بورسعيد ولم نتأكد هل استطعنا ضرب شبكات الصواريخ . . أولا . . فمازالت الصواريخ تنطلق منها وإن كانت قد فقدت بعض فاعليتها .

إلا أن الجنرال ديان بدأ يهتم بالجبهة السورية . . فالأنباء الواردة من هناك مقلقة جداً . . فبالرغم من ضرب المرافق الحيوية فى طرطوس وبانياس ومعامل البترول . . فإن مجموع الطيارات . . التى سقطت لنا على الجبهة السورية قد وصل إلى ٣٢ طائرة . . حتى الساعة الرابعة مساء . . إلا أن الظاهرة . . التى أقلقتنا جداً . كانت حين أبرقت لنا قيادة الجبهة الشمالية بأن بعض الطيارين الإسرائيليين يلقون بأنفسهم فور دخولهم مجال الصواريخ السورية ويلقون بالذخيرة بعيداً عن الأهداف المحددة لها كان يجب أن نجبر هذه الصواريخ على السكوت ولو أدى ذلك إلى تدمير دمشق نفسها واتصلت السيدة مائير مساء ٨ أكتوبر عن طريق

الخط المباشر مع الرئيس نيكسون وشرحت له الموقف وأبعاد خطورته .

فقد كانت نسبة خسائرنا فى الأسلحة والمعدات والأفراد فوق كل تصور . لكن الرئيس نيكسون طمأنها بأن الولايات المتحدة الأمريكية تتابع الموقف أيضاً بقلق بالغ عبر كل الأجهزة والأقمار الصناعية وأن اتصالات مستمرة تدور مع السوفيت لإيقاف القتال وأن محاولة ستجرى عبر الحكومة البريطانية لجس نبض مصر فى هذا الموضوع .

وختم حديثه قائلا : إن الموقف لو تطور أكثر من هذا فإن الولايات المتحدة لن تسكت وأن كل إمكاناتها ستكون تحت تصرف إسرائيل فى الوقت المناسب وختمت ماثير حديثها مع الرئيس نيكسون قائلة : لاتنس أننا هذه المرة . . نقاتل العرب مجتمعين . . حتى تلك الدول البعيدة من العرب لها قوات فعلية على الجبهتين المصرية والسورية . .

وبدأت بالفعل مصر فى تحريك وحدات صواريخها . . عبر المعابر باتجاه الضفة الشرقية . . مستغلة ليل الثامن من أكتوبر وكان على سلاحنا الجوى برغم كل شىء أن يعمل ليلا ليمنع . . وبأى ثمن عبور هذه الوحدات . .

حتى صباح يوم ١٠ أكتوبر . . لم يطرأ جديد على الموقف ولم تحقق هجماتنا المضادة نتائج تذكر وقد اتضح لنا أن القوات المصرية يلزمها وقت لتعيد رؤية الموقف لتبدأ الخطوة التالية . . التى كنا نتوقعها وهى تطوير الهجوم فى اتجاه الممرات . . لذلك اقترح الجنرال بارليف أن نقوم



ديان مع العمال العرب الذين كانوا يجلبونهم ليلاً لحفر القبور الجماعية ..

أولا بتوجيه كل الثقل نحو الجبهة السورية . . لأنها نظراً لقربها من عمقنا السكانى أكثر خطورة علينا وخصوصا بعد أن استطاعت أربع مقاتلات سورية الوصول إلى حيفا ومحاولة قصف منشآت هامة بها . . وعلى أساس إجهاض الجبهة السورية أولا . . ثم اللحاق بالجبهة المصرية ثانياً وقبل أن تبدأ القيادة المصرية فى تنفيذ الخطوة التالية وهى الاتجاه للاستيلاء على الممرات .

لكن التقديرات الأولى لحجم خسائرنا كانت تتصاعد بدرجة مفجعة وقد بدأنا منذ صباح يوم ٨ أكتوبر فى استخدام الاحتياطى الاستراتيجى من المعدات والأسلحة والذخيرة وكانت السيدة مائير رئيسة الوزراء . . تجلس معنا . . تستمع إلى التقارير الواردة . . من جبهتى القتال . . وحين علمت أن السيد هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا على الخط . . ويريد محادثتها قامت تجرى . .

ولكى نخفى العدد الحقيقى لقتلانا كنا ندفنهم ليلا بدون طقوس دينية !

حتى صباح العاشر من أكتوبر . . لم يطرأ أى جديد على الموقف ، ولم تحقق هجماتنا الست المضادة أية نتائج تذكر . . غير أن الوقت الذى كان يمر بسرعة مذهلة . . قد أوضح لنا أن القوات المصرية يلزمها وقت لتعيد رؤية الموقف ، وترتب نفسها . لتبدأ الخطوة التالية . . التى كنا نتوقعها ، وهى تطوير الهجوم باتجاه الممرات .

فى هذه الأثناء اقترح الجنرال « بارليف » أن نقوم بتوجيه كل ثقلنا نحو الجبهة السورية . . لأنها من حيث المواقع ، وقرب الجبهة من قلب إسرائيل . . كانت تشكل خطورة علينا . . خصوصاً أن أربع مقاتلات سورية استطاعت الوصول إلى حيفا ، وحاولت قصف منشآت هامة بها ، وكانت خطة الجنرال بارليف هى إجهاض الجبهة السورية . . التى لا تأخذ منا وقتاً ، أو جهداً كبيرين . . ثم اللحاق بعد ذلك بالخطر الأكبر ، وهى الجبهة المصرية قبل أن تبدأ قيادتهم فى تنفيذ الخطوة

التالية ، وهى الاتجاه للاستيلاء على الممرات . . ولكن التقديرات الأولية لحجم خسائرنا . . سواء فى المعدات أو فى الأفراد . . كانت تتصاعد باستمرار ، بشكل مفجع ، وقد استخدمنا منذ صباح اليوم الثامن الاحتياطى الاستراتيجى من المعدات ، والأسلحة ، والذخيرة ، وكانت رئيسة الوزراء السيدة مائير تجلس معنا . . تستمع إلى التقارير المفجعة الواردة من جبهتى القتال . . حين جاء من يخبرها . . بأن السيد هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا – فى ذلك الوقت – على الخط ، ويريد محادثتها . وفى هذه المحادثة أخبرها كيسنجر . . بأن مصر رفضت وقف إطلاق النار ، وأن ضغط الروس على مصر لتحقيق نفس الغرض لم يفلح . . وأن الرئيس نيكسون سوف يتحدث إليها شخصيًّا . . بعد انتهائه من اجتماع هام تعقده اللجنة العليا لشئون الشرق الأوسط .

وكنا ننتظر السيدة مائير على أحر من الجمر . . لكى تنقل إلينا تفاصيل هذه المكالمة التليفونية ولكنها عادت ووجهها مضطرب والعرق الغزير يتصبب من على جبهتها ومن على جسمها ، ونقلت إلينا تفاصيل مادار فى المكالمة مع كيسنجر . ولكنها أضافت قائلة :

إذن لو استمر القتال ثلاثة أيام أخرى . . فإن معنى ذلك أننا سوف نستخدم الحجارة فى القتال . . حقًّا إننا نخوض حرباً من نوع جديد علينا ، والخطورة هذه المرة أننا لا نعرف متى ستنتهى ، إننا نتصرف فى المخزون الاستراتيجى من الأسلحة والمعدات . . إننا نواجه وضعاً بالغ

الخطورة . . فصواريخ العرب قد أفقدت طياراتنا القدرة على الحركة وبالتالى فقدنا القدرة على العمل فى الجبهتين المصرية والسورية ، ثم إن هناك شبه تمرد بين طيارينا . . حينما لا يعود زملاؤهم . . حيث يتم قتلهم أو أسرهم . .

مكالمة أطول من الدهر

وحقا أقول إن المدة التى كنا ننتظر فيها مكالمة الرئيس الأمريكى نيكسون للسيدة مائير رئيسة الوزراء . . كانت بالنسبة لنا أطول من الدهر كله . . إذ كنا نحن جالسين فى مقر القيادة ، والأوضاع متردية على كلتا الجبهتين . .

وأخيراً فى حوالى الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك اليوم الطويل جدًّا فى تاريخ إسرائيل . . أخبر الرئيس الأمريكى نيكسون رئيسة الوزراء السيدة مائير بأن كل شىء أصبح جاهزاً ، وأنه قد تم الإعداد والاستعداد منذ ساعة ، لإقامة جسر جوى بين واشنطن وحيفا وتل أبيب ، لتعويض إسرائيل عما فقدته من خسائر أولا بأول ، وأن مائتى طائرة من طراز فانتوم ، وسكاى هوك فى الطريق إلينا الآن . وهنا طلبت السيدة مائير من الرئيس الأمريكى نيكسون شبكات تشويش إلكترونية . . لتعويق عمل الصواريخ المصرية . . وقنابل سمارت التليفزيونية وشراكاً خداعية ، وأجهزة رادار من ماركة بوتى الحديثة

والمتطورة ، ومدرعات ، ودبابات .

وكان رد الرئيس نيكسون عليها : سوف يأتيكم أكثر مما تتوقعون . . لكن عليكم أن تتجنبوا الخسائر البشرية . . حتى لا نضطر إلى التدخل بصفة علنية ، وذلك بإرسال قوات أمريكية . . لأن هذا هو الشيء الوحيد الذى لا نستطيع أن نعبئه فى صناديق ، ونرسله إليكم . وهنا ردت عليه مائير باسمة : لقد حاولنا ذلك . . ولكن الخسائر البشرية كبيرة للغاية . . كبيرة لدرجة الخطورة الحقيقية . . إننى لم أعد أعرف كيف سأستطيع أن أواجه أسر كل هؤلاء القتلى من جنودنا .

ولقد كان الأمر الذى أفزعنا جدًّا فى هذه الحرب هو أن معظم الجنود الذين سقطوا فيها كانوا من الجنود الإسرائيليين (وليسوا يهوداً مقيمين خارج إسرائيل أو مرتزقة) لأن مقتل هؤلاء لا يفزعنا مثل أن نخسر جنديًّا يهوديًّا إسرائيليًّا مقيماً بالبلاد أى إسرائيليا . . إن مقتل جندى إسرائيلى واحد من المقيمين فى إسرائيل يعنى أن نبحث مقدماً عن التبريرات التى سنقدمها لأسرته التى ترفض عادة كل تبريراتنا . . !

تقرير أمريكى عاجل

وفى اليوم التالى جاءنا تقرير أمريكى عاجل وهام . . كان هذا التقرير يوضح بعد أربعة أيام من القتال الضارى . . الموقف كما تراه أمريكا ، أو كما التقطته الأقمار الصناعية . . بالإضافة إلى تقاريرنا ، ومن كل ذلك

اتضح لنا . . أن مصر . . برغم القتال الشرس ، والضارى ، والشديد ، تسير بهدوء عجيب فى تنفيذ خطتها . .

فعلى الرغم من الكثافة الكبيرة لأسلحتها ومعداتها الثقيلة وعلى الرغم من وجود أكثر من ٦٠ ألف جندى عبروا إلى الضفة الشرقية للقناة . . فإنها لا تحرك قواتها شبراً واحداً . . إلا بعد أن تتأكد قيادتها من تحقيق تمركز مضمون أو كما نسميه نحن عسكريًّا – تمركزاً جذريًّا ، كما أنها قبل أن تحرك أسلحتها الثقيلة شبراً واحداً أيضاً . . تضمن لها أولاً تغطية جوية وحماية كبيرة . . إذن ما معنى كل ذلك . . ؟ إن له معنى واحداً ، هو أن مصر لا تتحرك عشوائيًّا كما كان الحال فى الحروب السابقة ، ولا تتقدم لمجرد أن يصبح الطريق أمامها مفتوحاً للتقدم .

إنها أولاً . . تقدم صواريخ أرض جو . . لضمان الحماية الجوية . . ثم تزيد من تعميق وتحصين رءوس الكبارى . . ثم تقدم بقية الأسلحة الأخرى . . كما كانت القوات السورية بدورها تسير بسرعة كبيرة ، وكان معنى أن تتقدم القوات السورية مسافة كيلو متر واحد . . كان معنى هذا زيادة قربها من عمقنا الاستراتيجى .

وفى هذه الأوقات العصيبة . . التى يدركها جيداً كل من اشترك فى قيادة ، ورأى هزيمة قواته فى التقارير التى أمامه ، والتى تصله تباعاً من الجبهات أقول : فى هذه الأثناء . لم نكن قد حددنا بعد الكميات اللازمة لنا من الأسلحة الأمريكية . . بأرقام معينة . . إلا أن ما بدأ يصلنا من

هذه الأسلحة . . كان بالفعل ، كما قال الرئيس نيكسون يفوق كل تصوراتنا ، أو تقديراتنا . وبدأنا نلتقط أنفاسنا من جديد وننفذ الخطة الهجومية . . التي اتفقنا عليها مع أمريكا ، وكانت تقضى بأن نقوم أولاً بتوجيه ضربة قاسية إلى إحدى الجبهتين . . حتى يتم القضاء على فاعليتها . . فيستقيم لنا بعد ذلك تدبير أمر الجبهة الثانية ، أو بمعنى أوضح ، نقوم بتحويل القتال من قتال كلى مرهق على جبهتين عريضتين . . إلى قتال جزئى منفرد – ونظراً لأنه أصبح واضحاً لنا أن مصر تتقدم ببطء ، وبعد دراسة متأنية وبناء على تقديرات وتقارير علمية ثابتة رأينا أن مصر سوف يلزمها بعض الوقت من يوم إلى ثلاثة حتى تستطيع نقل وتثبيت شبكات الصواريخ على الضفة الشرقية . . لكى توفر حماية جوية لقواتها التى سوف تتحرك بعد ذلك وتطور هجومها بالتقدم شرقاً باتجاه الممرات . .

الجبهة السورية

إذن فلنركز على الجبهة السورية ، وفعلاً أصدرنا الأوامر بتحريك ألوية ثلاثة وثلاث فرق مشاة من الاحتياطى التعبوى التكتيكى . . باتجاه المعارك فى الجبهة السورية . . على أن يكثف سلاحنا الجوى غاراته على جميع المواقع والمطارات ومراكز الإمداد والمواصلات والمرافق الحيوية والاستراتيجية السورية ، وفى نفس الوقت صدرت الأوامر لسلاحنا

البحرى لكى يقوم بهجمتين كبيرتين الأولى منهما على الموانى السورية فى طرطوس . . واللاذقية ، وبانياس ، والثانية ضد الموانى المصرية فى بورسعيد والإسكندرية ورشيد .

كنت أنظر إلى وجه الجنرال ديان وهو يوقع الخطة . . لقد عادت إليه الدماء بعض الشىء وأصبح قادراً على ابتلاع ريقه ، وخصوصاً بعد وصول الأسلحة الأمريكية وبعد أن تأكدنا من أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية . . لن تترك الأمور تسير بهذا السوء حتى لو أدى الأمر إلى أن تتدخل بشكل علنى ولعلى لا أكشف سرًّا حين أقول :

إننا لو لم تصل إلينا الأسلحة الأمريكية حتى يوم ١٢ أكتوبر فقد كان المعنى الوحيد لهذا أن الكارثة الكبرى قد وقعت ، وأن نهايتنا قد أصبحت وشيكة لأننا كنا قد خسرنا تماماً المخزون الاستراتيجى من السلاح ، وكان ذلك معناه أن باستطاعة مصر وسوريا بعد ذلك الوصول إلى أبعد مما يمكن أن يتصوره أى إسرائيلى .

تنحية ديـان !

بعد ذلك عقدنا اجتماعا مع مجلس الوزراء - المنعقد بصفة دائمة - بقاعة هيرتزل الملحقة برئاسة الأركان . واتخذنا قراراً باستدعاء زملائنا من العسكريين القدامى . . الذين شاركو أو خططوا لحرب عام ١٩٦٧ ولو أنهم كانوا معنا فى غرفة العمليات ، ولكن بشكل غير رسمى . . !

وكان واضحاً أن هناك قراراً لم يصدر صريحا وإن كان قد تم الاتفاق عليه بأن يتنحى ديان مؤقتاً عن صدارة القيادة ، اتضح ذلك من الصلاحيات التى منحت لحاييم بارليف ، وموردخاى جور ، وأريل شارون . . حقاً لقد كان موقفاً صعباً أن يتحول وزير الدفاع إلى مجرد متفرج على ما يحدث ، وفى هذه اللحظات العصيبة نظرت إلى ديان فوجدته هو الآخر ينظر إلى ، وفى عينيه بريق غريب . . يعبر عن أفكار أكثر غرابة تتسلط على رأسه ، ويخطط لتنفيذها ، ولم أكن أعلم وقتها بهذه الأفكار . . التى تدور فى ذهن الجنرال ديان ، ولكننى بعد أن

انتهت الحرب ، وتشكلت لجنة أجرانات للتحقيق فى هزيمتنا فيها أدركتها جيدا . . فقد اختارنى ديان بالذات وكان يفكر كعادته فى الوسيلة التى سيلقى بها كل الاتهامات بأخطاء هذه الحرب ، وبالتقصير فيها على رأسى أنا وحدى . أو بمعنى أوضح كان يدور تفكيره كيف سيجعل منى الضحية . . التى سيقدمها على مذبح صيته ، وشهرته العسكرية أمام شعب إسرائيل وأمام العالم . . ؟ وبعد ذلك كيف سيبعدنى تماماً عن الحياة العامة ، أو ربما عن الحياة بأكملها . . ؟

وبعد ذلك جاءت الإشارات تتوالى . . فقد قصف سلاحنا البحرى الموانى السورية بعنف . . إلا أنه لم يحقق هدفه ، وتم تدمير شبكة الكهرباء بطرطوس كما تم إعطاب مصفاة البترول فى حمص ، وبرغم ذلك ظلت سوريا تواصل القتال وكان هدفنا من ضرب العمق المدنى ذى الكثافة السكانية العالية فى سوريا هو تحويل الجهد السورى عن جبهة القتال .

وفى هذه الأثناء أيضا دارت معارك ضارية وعنيفة بين سلاح البحرية المصرى وبين سلاحنا البحرى بالقرب من بورسعيد . ودمياط ، ورشيد ، وكان واضحا لنا بما لايدع مجالا لأى شك أن المصريين متيقظون لكل خطوة ، أو حركة مضادة من جانبنا . . على أننى أود أن أقرر أن أهم خبر وصلنا فى هذه الأيام العصيبة الكئيبة . . أن أمريكا وافقت على مطلبنا بإرسال أنواع متطورة من الصواريخ والقنابل من

ماركة سمارت وشبكات توجيه وشوشرة تليفزيونية . . بل بدأت بالفعل فى شحنها إلينا ، وقد علمنا أيضا أن الولايات المتحدة قد أعدت كل هذه الأسلحة للاستعمال الفورى ، وأرسلت معها خبراء أمريكيين لكى يتولوا مهمة التدريب السريع لقواتنا على هذه الأنواع المتطورة جداً . والتى لم تستخدمها أمريكا نفسها ، وكانت قد وصلت إلينا قبل ساعات من ظهر يوم الحادى عشر من أكتوبر دفعة أخرى جديدة من طيارات الفانتوم وسكاى هوك بلغت ٧٠ طائرة إلى جانب المعدات الأخرى المتطورة . .

واذا كان هذا أهم خبر وصلنا فى هذه الأثناء فإن أخطر خبر قد وصل إلينا بعده مباشرة هو أن جنودنا بدءوا يهربون من الجبهة ، وكانوا يتعمدون إتلاف معداتهم العسكرية وهم فى طريقهم إلى الجبهة ، وقبل أن يصلوا إليها ، وكانت الإشارة «التى تضمنت ذلك الخبر» تفيد بأن الطرق المؤدية إلى ساحة القتال كانت مملوءة بالدبابات والعربات المجنزرة . . التى تعمد قائدوها وراكبوها أن يعطلوها بأية وسيلة ممكنة !

مظاهرة فى تل أبيب

وفى هذه الأثناء خرجت أول مظاهرة فى شوارع تل أبيب ، وبرغم أن الحرب لم تكن قد انتهت فإن الشعب كان قد أحس بفداحة الخسارة فالجرحى بالآلاف فى جميع المستشفيات ، وهؤلاء الجرحى على الرغم من الأوامر المشددة بعدم السماح بزيارتهم ، أو اختلاطهم بالمدنيين ، كانوا لا يكفون عن الثرثرة والحديث عما حدث لهم وعن تقدم القوات المصرية والسورية ، وانهارت الروح المعنوية للشعب فى إسرائيل ، وكان الغضب الممزوج بالحزن يعم البلاد كلها . . فلم يكن هناك إسرائيلى واحد يتصور أن يعبر المصريون القناة ، ويحطموا خط بارليف ، بل إنه لم يكن أحد يتصور أن تسقط لنا فى يوم واحد ١٠٥ طيارات من طراز فانتوم ، وسكاى هوك على الجبهتين المصرية والسورية .

وهنا سأكشف عن حقيقة أعتقد أنها أصبحت معروفة لدى كل الإسرائيليين خصوصا بعد أن تحدث عنها العمال العرب الذين قاموا

بتنفيذها .

وأعنى بهذه الحقيقة القبور الجماعية . والتى كنا نضع فيها جثث جنودنا الآتية من الجبهة على صورة أكوام من اللحم والعظام المهشمة وتحملها البلدوزرات . . حيث يتم دفنها ليلا فى مقابر تم حفرها بواسطة عمال عرب . وفى أماكن بعيدة وبدون أية طقوس دينية . . بهدف إخفاء حجم خسائرنا البشرية عن الشعب الإسرائيلى ، ولإخفاء حقيقة الهزيمة ، وكان الجنرال بارليف قد أمر بجمع عدد كبير من هؤلاء العمال العرب المقيمين فى إسرائيل فى منتصف الليل . . وتنقلهم العربات المجنزرة إلى أماكن غير معروفة فى الصحراء حيث يقومون بحفر قبور كبيرة جداً لتتسع لهذا الحجم الهائل من جثث الموتى ، وبعد دفنها يهال عليها التراب ثانية فى الصحراء وكأن شيئاً لم يحدث ! !

وهنا أود أن أقرر قبل أن أنهى الكتابة عن هذه الأيام الطويلة ، والمريرة ، فى تاريخنا . . أود أن أقرر أن الجنود العرب قد نجحوا فى استخدام الأسلحة الإلكترونية الحديثة ، وأنهم تقدموا تكتيكيا على استخدام العتاد الحربى المتطور . . كما أنهم نجحوا فى إخفاء استعدادهم للحرب وموعد الهجوم . . بالإضافة إلى نجاحهم استراتيجياً . . حيث سيطروا على مناطق استراتيجية هامة فى سيناء . . بالإضافة إلى قناة السويس ، كما أنهم نجحوا فى عبور القناة . وفى إتلاف أجهزة الإشعال على الضفة الشرقية . . ولست أريد أن أتحدث عن الثغرة التى أحدثها



داڤيد اليعازار فى شبابه . . فى هذه الصورة لم تكن تخطر على باله نهايته الحزينة بعد الهزيمة فى أكتوبر ١٩٧٣ . .

جيشنا فى الضفة الغربية من قناة السويس ، لأن رجل الشارع فى إسرائيل أصبح يدرك تماماً أن معناها الوحيد أنها مصيدة نصبها الجيش المصرى لاستمرار النزيف من شريان الدم الإسرائيلى ! !

وأخيرا . . استخدموا سلاح البترول بمهارة ودقة فائقتين . .

فهرس

الصفحة

رقم الإيداع	١٩٧٩/٢٩٨٦
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٧٠٧ - ٦

١/٧٨/٣١٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

هذا الكتاب

على أثر الهزيمة التى لحقت بالقوات الإسرائيلية فى أكتوبر ١٩٧٣ ، شكلت فى إسرائيل لجنة للتحقيق ، ولتقصى أسباب الهزيمة برئاسة القاضى أجرانات وقد أدانت هذه اللجنة دافيد اليعازار ، واتهمته بالتقصير فى هذه الحرب ، فى حين لم تشر إلى مسئولين آخرين بهذه التهمة . . لذلك كتب اليعازار هذه المذكرات لكى يظهر الحقائق للشعب الإسرائيلى ، وهى تتناول أحداث ما قبل هذه الحرب ، وكيف كانت نظرة القادة الإسرائيليين إلى الأمة العربية . . ؟ وكيف كانوا يعتبرون هذه الأمة جسداً ميتاً ، لا يجب أن يعملوا له حساب ، كما يسجل اليعازار الدور الأمريكى فى إنقاذ إسرائيل من هزيمة ساحقة ، الأمر الذى دعا الكثيرين بالمطالبة بتمجيد أمريكا ، والآن استطاعت الدبلوماسية المصرية الوصول إلى هذا الهدف .

٧٥ قرشا